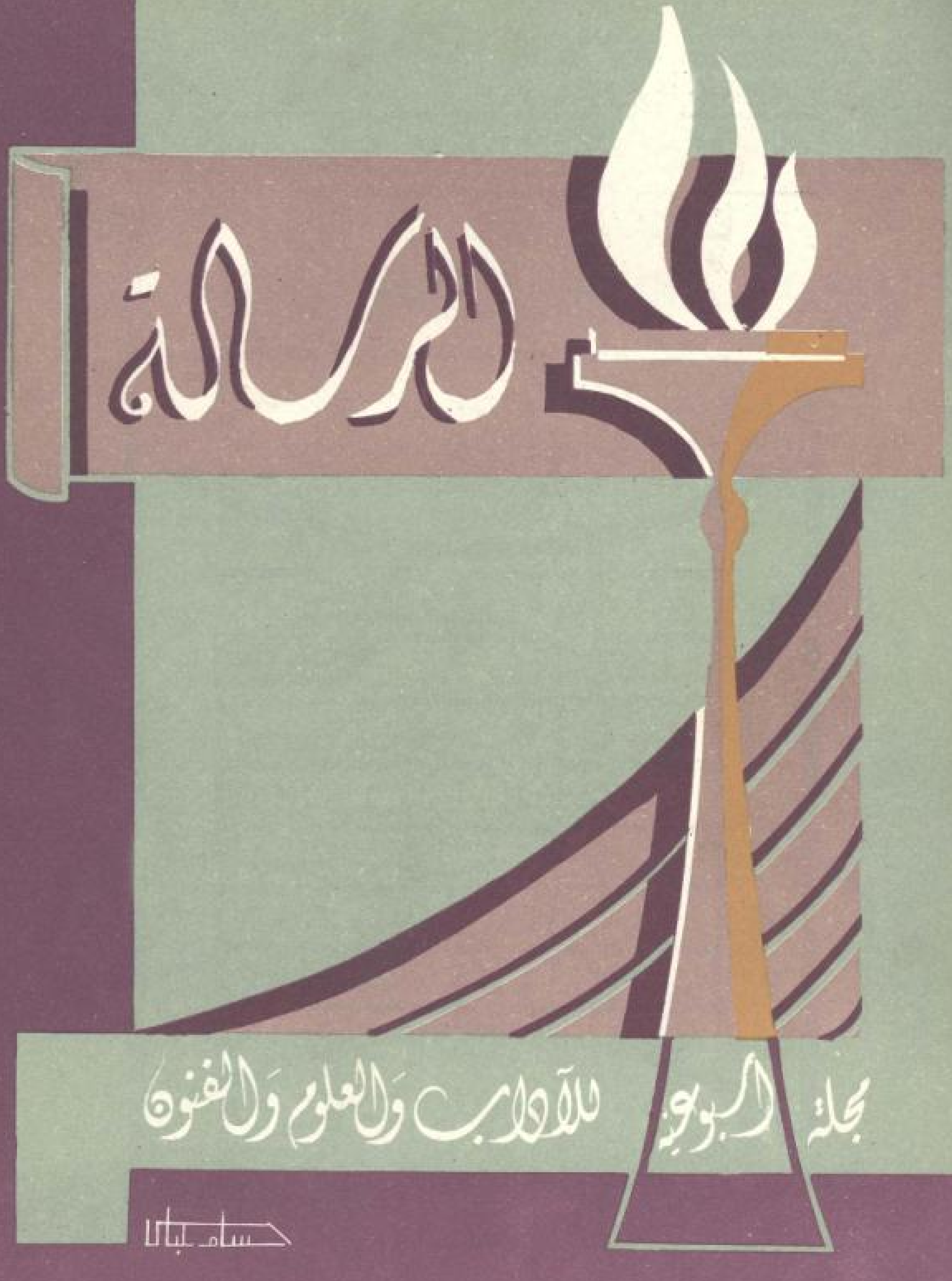

الرسالة
مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
احمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج.ع.م.
الإدارة :
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

الاشتراكية حب ...

بقلم : أحمد حسن الزيات

الاشتراكية من كمال الايمان . ومن كمال الايمان أن تحب لأخيك ماتحب لنفسك وأن تكره له ماتكره لها . وهذه الحكمة النبوية المقررة جاءت على نهج الكلام الجامع من سنة الرسول صلوات الله عليه ، فتضمنت المعاني الكثيرة المختلفة التي تدخل في بنية المجتمع المثالي الذي يأمر به الاسلام وتدعو اليه الاشتراكية : تضمنت من هذه المعاني معنيين هما الأخوة والمحبة ، فالأخوة صفة الايمان ، والمحبة صفة الانسان . ولن يكون الاخاء الا مع المساواة والتكافل والعدل ، ولن يكون الحب الا مع الألفة والنصفة والايثار . وهذه هي الخلال التي تميز الاشتراكية من كل نظام ، وتفسر الانسانية على أشرف معنى ، وتبرز المجتمع في أجمل صورة ، فاذا ابتلي الناس بأضداد هذه الخلال وما يجرى مجراها كانت الفردية ، ومعناها الأنانية والاقطاعية والطغيان والشح والتخاذل والتواكل والتباغض والتحاسد والتقاطع . ومحال أن يقوم على هذه المهلكات وطن ، وأن تجتمع على هذه المفرقات أمة .

لن يكون الأناني اشتراكيا لأنه يعمل لنفسه ، ويستغل بني جنسه . ولن يكون الاقطاعي اشتراكيا ، لأنه يجمع ولا يفرق ، ويستأثر ولا يشارك . ولن يكون الطامع اشتراكيا ، لأنه يمد عينيه الى وراء ما يملك ، ويبسط يديه لأكثر مما يحتاج . ولن يكون احد ممن يحسد أو يحقد أو يحتال أويغتال أو يبغض اشتراكيا ، لأنه لا يستشعر الوفاء لوطن ، ولا يستبطن الاخاء لمواطن .

ان المجتمع الراسمالي خلو من الحب ، لأنه قائم على جلب المنافع من أي طريق ، وبأي وسيلة ، وعلى أي صورة ..... فالرحمة والعدل والمشاركة والايثار والاحسان والعطف ، ألفاظ لا معنى لها في لغته . أما ألفاظ العامل والفلاح والفقير والضعيف والعاجز فان الفروق بين معانيها في الاشتراكية ومعانيها في الراسمالية هي الفروق بين أعضاء الانسان وأجزاء الآلة ، أو هي الفروق بين الاصلاح الزراعي وما يدل عليه من التملك والتحرر والتعاون ، ودوائر الاقطاعيين من الأمراء والأغنياء وما كانت تدل عليه من الاستغلال والاستذلال والعبودية .

لو كان للحب مكان أو سلطان في مجتمع ما ، لانقلب هذا المجتمع بطبعه اشتراكيا ، يعمل فيه الفرد للكل والكل للفرد على النظام الطبيعي الذي قامت عليه الأسرة من اشتراكية الدم والعرق والجهد والرزق والمصير .

وما أفسد المجتمع العالمي الا تنافس أممه في الاستعمار ، وتكالب أفراده على الاستئثار ، وتسابق هؤلاء وأولئك الى استغلال الفقير ، واستعباد الضعيف باستنزاف دمه ، واستنفاد قوته .

فلو أن الحب الذي ألف بين قلوب الأسرة فطبع الوالدين على الايثار والمحبة ، وأنشأ الاخوة على المودة والرحمة ، وقسم بينهم الرزق على الكفاية والعدالة ، وكفل العيش للقاصر والعاجز بالعطف والشفقة ، لو أنه انتقل من حيزه الخاص الى حيزه العام

لما رأينا المجتمع على ما هو عليه اليوم من افتنان في وسائل القتل ، واختلاف على مواطن النفوذ ، واصطراع على مصادر الثروة ، واتفاق على طرد المتخلف !

تعال اذن أسالك بعض الأسئلة لتعرف من أجوبتها في سرك ان كنت اشتراكيا تتعامل مع الناس على مقتضى الميثاق أو انفراديا تتعامل مع نفسك على مقتضى الأثرة :

هل أنت رضي النفس عما أخذته الدولة من عفو أرضك ، وفضل رزقك لتضمن به للفلاح المعدم حق الحياة لنفسه وولده ؟ هل أنت مطمئن القلب لما خفضته الحكومة من أجرة عمارتك ، لتعاون مواطنك على ثقل عبئه وغلاء قوته ؟

هل أنت مقتنع الرأى بأنك تعمل لأمتك فى قطاعها العام ، مثل ما تعمل لأسرتك فى قطاعها الخاص ؟

هل أنت مخلص النية فى أن مال أخيك المواطن كمال أخيك القريب ، لا يجوز عليه الغش ولا الاختلاس ولا السرقة ؟

هل أنت قرير العين بالقوانين الاشتراكية التي غيرت وجه الحياة فجعلت ملامحها مصرية لاتستبهم ، ومعارفها عربية لاتستعجم ، ومخايلها دالة على سحنة واحدة لاتعرف بها المستغل ولا المتحيز ولا المتميز ولا المتعالي ؟

هل أنت سعيد الجد لأنك تشعر بخروجك من مجتمع جاهلي اقطاعي ، يؤثر الفردية على الجمعية ، والأنانية على الغيرية ، وتنعم قلته بخير البلد وتشقى كثرته بشر الأبد ، الى مجتمع اسلامي عادل يعم فيه الرزق ، وتتوزع الارض ، ويعيش المواطنون سواسية لا فضل لبعضهم على بعض الا بالعمل والانتاج ؟ هل تشعر بهذه السعادة حتى ولو كنت من رءوس المجتمع القديم ؟

هل أنت قوى الرجاء في أن النظام الاشتراكي يدوم مادامت الأمة ، ويقوم فى البلاد العربية مادامت العروبة ، ويقيه الله شر الرجعية والراسمالية والكراهية حتى يتاصل فى الأمة ويتوثق ، فيجرى في القلوب مجرى الدم ، وفى النفوس مجرى العقيدة ، ويكون له من الايمان درع يقي ومن الاخلاص سلاح يدفع ؟

هل أنت مثلوج الصدر ، لأنك تشعر بالرغبة فى معونة كل محتاج ، وصلة كل مقطوع ومحبة كل مواطن ؟

فاذا كانت أجوبتك عن هذه الأسئلة بالايجاب كنت اشتراكيا بدمك وعضلك وعصبك وهواك ، وان كانت أجوبتك عن أكثرها أو عن أقلها بالنفى ، فأنت اشتراكى مغلق فج تحتاج الى تفتح ونضج • فمبلغ علمك بالاشتراكية الحق كمبلغ علم المسلم الجاهل بالاسلام الحق ، لا تعرف أنت من النظام الاشتراكى الا الاصلاح الزراعى ، لأنك أخذت منه فدانين ، ولا يعرف هو من الدين الاسلامى الا المسجد لأنه يخطف فيه ركعتين ! أما مايترتب على الاشتراكية والاسلام من قوانين المعاملة ، وقواعد السلوك ، ومبادىء الخلق ، فتلك أشياء لا تتضح فى وعيه ولا تدخل فى حسابه !

الاشتراكى الذى يقف أمام هذه الأسئلة صامتا مفحما لا يعوزه العلم وانما يعوزه الحب • والحب قبس من شعلة الحياة يضعه الله فى القلب ، فيصدر عنه النور والحرارة ، وهما الايمان والهدى والجاذبية • فلا هو شيء يكتسب ولا معنى يعلم ، وانما هو روح نشأ مع الروح ويجرى على سنن من الاعتياد والألفة والارتياض •

الحب هو روح الاشتراكية ، ولا تكون بدونه الا اسلاما بغير ايمان ، وجمادا بغير حس ، وعملا بلا نية ، واسما بلا مسمى • وأصعب ما فى الأمر أن يخلق فى الاشتراكى هذا الحب ، ولن يخلق فيه على ما أعتقد الا بالوعى • فان الوعى البصير المستمر يكون العقيدة • والعقيدة الصحيحة متى رسخت تخلق فى النفس المطمئنة الايمان • والايمان هو القوة المعنوية التى تبدل الناس غير الناس ، والأرض غير الأرض ، والنظام غير النظام • ولم تات مصر بمعجزتها الا بهذا الايمان الذى استولى على قلوب زعمائها ، فاستسهلوا الصعب ، واستجازوا المحال ، واستهدفوا الخطر • ولن تبلغ اشتراكيتنا حد الكمال الا اذا كان فى قلب كل مواطن حب عبد الناصر الوثيق لعروبته وشعبه ، وايمانه العميق باشتراكيته وربه •

« احمد حسن الزيات »

الأساس الروحي لاشتراكيتنا العربية

للدكتور محمد عبد الله العربي

كثر الجدل حول اشتراكيتنا العربية ، التي وضع دعائمها وسجل احكامها ميثاقنا الوطني • وتساءل البعض : هل هي بضاعة استوردناها من الشرق او استوردناها من الغرب ؟ وجاء البعض الآخر يستنبط من تسميتها اشتراكية « علمية » أنها لا شك اشتراكية ماركسية ، فهكذا سمى ماركس اشتراكيته •

والواقع غير هذا وذاك • فقد اتضحت معالم اشتراكيتنا العربية العلمية منذ فجر ثورتنا ، ولكن المجادلين مضوا فى جدلهم كأنما لاتستقيم لنا اشتراكية الا اذا استندت الى اشتراكية أجنبية •

الى أن جاء قائد الثورة فأكد أن اشتراكيتنا العربية انما تستمد أصولها من تعاليم تراثنا الروحي الذى نزلت به الاديان السماوية فى أرضنا العربية المباركة ، لتكون هدى ورحمة وبشرى للناس كافة •

واكد أن اشتراكيتنا العربية اشتراكية علمية لأنها انما تهتدى فى تطبيقاتها بالعلم ، وتنتفع فى انجازاتها بكل ما يكشف عنه العلم • وطلب العلم والاهتداء بالعلم فريضة مقدسة بحكم تعاليم تراثنا الروحي ، « وقل رب زدني علما » و « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » •

قد يكون فى تطبيقاتنا لاشتراكيتنا العربية على ضوء ظروف هذا العصر ومقتضيات البيئة بعض المشابهة مع بعض الجوانب الخيرة فى اشتراكيات أخرى معاصرة ، ولكن الأساس يختلف بيننا وبينهم فلدينا الأساس روحى ، وهناك الأساس مادى بحت • وفرق ما بين الأساسين هو فرق ما بين السماء والأرض •

اما التشابه الجزئى فى بعض الجوانب الخيرة فهذا لا حرج فيه ، فحيثما تكون مصلحة الجماعة فى نطاق الأحكام الكلية لتراثنا الروحي فثم وجه الحق وثم شرع الله •

ان ابراز هذا الجانب الروحي ركن أساسى فى بعثنا القومى • انه هو الذى يغرس أحكام اشتراكيتنا فى وجدان الشعب حتى يكون تمسكه بها تمسكا تلقائيا عن عقيدة ويقين ، لا عن ارتياب أو نفاق او رهبة ، وحتى يحرص عليها فى أعماق ضميره • عن ايمان لا تزعزعه الصعاب التى تعترض طريقه ، وحتى تصل بذلك اشتراكيتنا الى أهدافها القومية الكبرى فى يسر وثبات وصمود •

ان تعاليم تراثنا الروحي – فى صيغتها الكلية الشاملة – وسعت كل جوانب الحياة ، ولكن بعضها حرف عن مواضعه فى عصور الانحلال ، واكثرها اهمل فى زوايا النسيان ، فلم ينله من التطبيق العملى فى كل عصر ما يكفل هداية كل جيل •

ان اشتراكيتنا العربية ليست الا سياسة المال كما رسمتها هذه التعاليم فى صيغة كلية بغير تفصيل• وذلك لأن حكمة الحكيم العليم التى شاءت لهذه التعاليم أن تكون خالدة الى أبد الدهر ، وأن تكون هى آخر هداية الهية للبشر ، اقتضت حكمته أن تكون هذه التعاليم فى صيغة كلية ليكون تفصيلها من صنع البشر على ضوء سنة التطور الانسانى وعلى ضوء مقتضيات كل عصر •

ان كل خطوة من خطوات اشتراكيتنا العربية ليست الا ترجمة أمينة لجانب من تعاليم تراثنا الروحى ، بل اذا أردنا الدقة فى التعبير قلنا انها انما قاربت تحقيق هذه التعاليم •

ونبدأ بابراز المعالم الروحية العامة فى اشتراكيتنا العربية :

ان ثورتنا من البداية جعلت القيم الروحية أساس نشاطها الثورى ، بل ان خطوتها الأولى عندما خرجت

طليعة الجيش تجابه الطاغوت ومن ورائه قوى المستعمر ، ووضعت رءوسها على أكفها ، انما كانت تنفذ تعاليم الله فى ابتغاء الاستشهاد فى سبيل رفع لواء الحق وتطهير الأرض من ظلم الظالمين ، ايمانا منها – كما يقرر الميثاق – بأن « القيم الروحية الخالدة ، النابعة من الأديان السماوية ، قادرة على هداية الانسان، وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

وايمانا من هذه الطليعة بأن دفع الظلم والنضال فى سبيل دفعه قد فرضه الله على الانسان المؤمن بكرامته الآدمية، وانه واجب محتوم على الفئة القادرة فى المجتمع اذا لم تقم به أثم المجتمع كله .

بل ان رسالات رسل الله جميعا الى البشر كانت ثورات من كل رسول على الفساد والبغى القائم فى عصره ، وهذا ميثاقنا يبرز هذه الحقيقة عندما يقول :

« ان رسالات السماء كلها فى جوهرها كانت ثورات انسانية استهدفت شرف الانسان وسعادته، وان واجب المفكرين الدينيين الاكبر هو الاحتفاظ للدين بجوهر رسالته .

« ان جوهر الرسالات الدينية لايتصادم مع حقائق الحياة ، وانما ينتج التصادم فى بعض الظروف من محاولات الرجعية أن تستغل الدين ضد طبيعته وروحه لعرقلة التقدم وذلك بافتعال تفسيرات له تتصادم مع حكمته الالهية السامية .

« لقد كانت جميع الأديان ذات رسالة تقدمية ولكن الرجعية ارادت احتكار خيرات الأرض لصالحها وحدها فاقدمت على ستر مطامعها بالدين وراحت تلتمس فيه مايتعارض مع روحه ذاتها لكى تقف تيار التقدم .

« ان جوهر الأديان يؤكد حق الانسان فى الحياة وفى الحرية، بل ان أساس الثواب والعقاب فى الدين هو فرصة متكافئة لكل انسان . ان كل بشر يبدأ حياته أمام خالقه الأعظم بصفحة بيضاء يخط فيها أعماله باختياره الحر ، ولا يرضى الدين بطبقية تورث عقاب الفقر والجهل والمرض لغالبية الناس وتحتكر ثواب الخير لقلة منهم .

« ان الله جلت حكمته وضع الفرصة المتكافئة أمام البشر أساسا للعمل فى الدنيا والحساب فى الآخرة » .

هكذا فهمت ثورتنا جوهر الدين وآمنت بقيمه الروحية عندما وضعت من البداية أهدافها الستة، وأبرزتها فى اشتراكية عربية وفى ديمقراطية سليمة .

واذا رجعنا الى السنوات الأولى للثورة رأينا قائد الثورة يقرر فى « فلسفة الثورة » عن الدائرة العربية التى يجب أن تشمل الشعب العربى فى كل أرجاء العالم العربى :

« انها امتزجت معنا بالتاريخ وعشنا نفس الأزمات ، وحين وقعنا تحت سنابك خيل الغزاة كانوا معنا تحت نفس السنابك .

«وامتزجت معنا بالدين فتنقلت الاشعاع الدينى فى حدود عواصمها من مكة الى الكوفة ثم الى القاهرة ثم جمعها الجوار فى اطار ربطته كل هذه العوامل التاريخية والمادية والروحية » .

ويصف الدائرة الاسلامية بأنها الدائرة التى تمتد عبر قارات ومحيطات ، دائرة اخوان العقيدة ، الذين يتجهون معنا اينما كان مكانهم تحت الشمس الى قبلة واحدة ، وتهمس شفاهم الخاشعة بنفس الصلوات » .

واذا نظرنا الى أكبر جهاز فى تنظيمنا السياسى ، الجهاز الأم الذى تنبثق منه جميع تنظيماتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، جهاز الاتحاد الاشتراكى العربى ، رأينا أن أول واجب يفرضه قانونه على كل عضو عامل فيه هو « أن يكون متمسكا بالقيم الروحية » ورأيناه يضع فى مقدمة اختصاصات لجان الاتحاد : « العمل على تنمية المستوى الروحى للجماهير » .

واذا نظرنا الى الجهاز ذاته – فى كيانه العضوى – نجد أنه قد نجح فى تجميع قوى الشعب العاملة فى اطار واحد لا محل فيه لصراع طبقى أو تناحر أنانى، ثم نجح فى تاليف قلوبهم تاليفا حقق تعاليم الأخاء وتعاليم المساواة التى فرضها تراثنا الروحى ، وحقق ما فرضته هذه التعاليم على المواطنين الصالحين فى كل مجتمع أن يوالى بعضهم بعضا فى تحالف وثيق نحو بلوغ الأهداف القومية ، وأن يكفوا عن موالاة أى مواطن يعبث بمصلحة الجماعة أو يسعى الى تفتيت وحدتها أو أى أجنبى يعادى مصلحة الأمة .

وبعد فهذا قليل من كثير من المعالم الروحية العامة التى رأينا ابرازها فى الأساس الجوهرى لاشتراكيتنا العربية ، قبل أن نمضى فى المطابقة التفصيلية بينها وبين تعاليم تراثنا الروحى .

قلنا اجمالا أن اشتراكيتنا العربيـة ليست الا سياسة المال كما رسمها تراثنا الروحى فى تعاليمه الكلية . كما قلنا أن اشتراكيتنا علميه ، لان طلب العلم وكل ما يكشف عنه العلم ليس الا تنفيذا لهذه التعاليم ، التى فرضت علينا ارتياد الكون الذى سخره الله لنا وكلفنا بكشف أسراره بما وهبنا من نعمة العقل .

وبعد هذا الاجمال نمضى الآن فى التفصيل .

واذا كنا نسترشد فى التفصيل بوحى القرآن فذلك لأنه خاتم الرسـالات السماويه ، وخاتم الهدايات الالهية . واذا كانت المسيحيه تحقر طلب المال ، لحكمة أرادها الله فى ردع بنى اسرائيل عن تكالبهم على المال بطريق مشروع وغير مشروع ، فان القرآن اختار الوسطية لهدايه البشر الى الأبد ، فقال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا » ، ثم وجهـنا الى قيمة المال فى المجتمع لأنه تنبعث من حيازته فرائض كثيرة فرضت علينا فى سبيل الله ، وسبيل الله هو سبيل خير المجتمع .

وانك لتجد آيات قرآنية كثيرة تنسب ملكية المال الى الله ، وآيات قرآنية أخرى تنسب ملكية المال الى البشر . ونستطيع أن نتبين من هـذا الازدواج فى نسبة المال مقاصد ثلاثة :

المقصد الأول : هو أن اضافة ملكية المال الى خالقه جل شأنه ضمان وجدانى لتوجيه هـذا المال الى نفع عباده، وان اضافة ملكية المال الى البشر ضمان يماثله فى توجيه مالك المال الى الانتفاع بما لديه من مال فى الحدود التى رسمها الله .

المقصد الثانى : هو أن الاسلام دين المسئولية : « كل نفس بما كسبت رهينة » ، « ولا تزر وازرة وزر أخرى » ، « وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه » . لذلك كان الاسلام لا يقبل أن تكون مسئولية البشر عن المـال الذى سخره الله لهم وأودعه بين أيديهم مسئولية شائعة غير محدودة ، فعمد الى اقرار الملكية الفردية ليسأل كل فرد ـ فى الحصة التى بين يديه من مال الجماعة ـ عن حق الجماعة فيها ، ثم جعل ولى الأمر مسئولا عن حق الجمـاعة فيما خص الأفراد من هذا المال ليستعمل ولى الأمر حقـه هذا فيما تمليه مصلحة الجماعة، وما تفرضه ضرورات الحياة المشتركة فى كل عصر .

المقصد الثالث : هو أن الاسلام لما كان دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وكانت فطرة الانسان تتوق الى تملك المال ، كان لابد لشريعه الاسلام أن تقضى بربط بعض المال على احاد الناس، حتى تنطلق غريزتهم من كبت الحرمان وحتى يندفع نشاطهم الى استثمار المال الذى فى حوزتهم وتنميته . وفى هذا نفع مشترك لهم وللمجتمع على السواء . كمـا تقضى شريعه الاسلام فى اموال اخرى بعدم ربطها على آحاد النـاس ، لضروريات الحيـاة ـ « الناس شركاء فى ثلاثه : المال والكلا والنار » ـ ويقاس عليها غيرها من ضروريات الحياة المشتركة .

ينتج من هذا الازدواج فى نسبة ملكية المال الى الله والى البشر ان تصـير ملكيه المـال وظيفة اجتمـاعية يؤديهـا مالك المال ، وان تقتـرن باداء هذه الوظيفة تكاليف كثيرة على مالك المال ، سواء أكان مالك المال من آحـاد النـاس ، أم كان المجتمع كله وذلك فى الأموال التى لا يجوز تمليكها لآحاد الناس .

ولن أمضى فى شرح هذه التكاليف جميعها ولكنى اخص بالذكر منها ما يتصل بما سميناه ـ اختصارا فى التعبير ـ باشتراكيتنا العربية .

أول هذه التـكاليف التى تفرضها تعـاليم تراثنا الروحى على مالك المال هو أن يوجه نشاطه وكفايته الى استثمار مـاله فى نطـاق الوجـوه المشروعة للاستثمار ، ثم مـداومة هذا الاستثمار ، لأن تعطيل استثمار المال يؤدى الى فقر صاحبه ، وبالتالى الى فقر المجتمع .

وقد صار تطبيق هـذا التكليف فى الصدر الأول من الاسلام عندما قال الرسول عليه الصلاة والسلام: « ليس للمحتجر حق بعد ثلاث سنين » . والاحتجار هو وضع اليـد على الأرض الموات لمحـاولة احيائهـا وتعميرها . وقد طبق عمر رضى الله عنه هـذا المبدأ عندما قال على المنبر : « من أحيا أرضا ميتة فهى له ، وليس لمحتجر حق بعد ثلاث سنين» . ثم عمم تطبيقه عندما قال : « من عطل أرضا ثلاث سنين لم يعمرها فجاء غيره فعمرها فهى له » . وكان رسول الله قد اعطى بلالا بن الحارث جميع أرض العقيق فلما كان زمن عمر قال لبلال : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقطعك لتحجره عن الناس ، انمـا أقطعك لتعمل فخذ منها ما قدرت على عمارته ورد الباقى » .

وحكمة هذا التطبيق ظاهرة ، وهى حرص الشارع

على مداومة استثمار المالك للمال الذى بين يديه لأنه أصلا مال الله أى مال الجماعة ، ومداومة استثمار المالك له تعود بالنفع على ذاته أولا وعلى المجتمع ثانيا، باعتبار هذه الثمار زيادة فى الدخل القومى وفى الثروة القومية ، وباعتبار أن ما يخرجه المالك من ماله من الفرائض الاسلامية فى خدمة المجتمع ،واذن يكون لولى الأمر النائب عن الجماعة حق التدخل بكل ما يكفل نفاذ هذا التكليف ٠

ويقاس على التكليف بمداومة الاستثمار التكليف باتباع أرشد السبل فى الاستثمار أولا لاشتراك العلة فيهما ، وثانيا لأن تعاليم الاسلام تفرض على كل من يباشر عملا أن يحسنه ويتقنه ٠ فاذا عمد المالك الى أسلوب فى استثمار ماله يؤدى الى ضآلة الانتاج ، أو يؤدى الى تلف رأس المال، كان لولى الأمر أن يرده عن الأسلوب القديم الذى درج عليه الى الأسلوب الرشيد ٠

واذا عمد الناس الى تركيز أموالهم فى تملك الأرض الزراعية دون سواها من مصادر توظيف المال كالصناعة والتجارة كان لولى الأمر أن يتدخل بالاجراءات التى تكفل توزيع الناس أموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة من صناعة أو تجارة أو تعدين أو غيرها ٠ لأن مباشرة كل منها يدخل فى فروض الكفاية التى يأثم ولى الأمر - ويأثم معه المجتمع - اذا لم يقم بين الناس من ينهض بها ويتوافر عليها ٠ وولى الأمر هو المسئول عن صلاح أحوال الرعية ودرء المفاسد عنهم وجلب المصالح ٠

واذا تضخمت الثروة فى أيدى فئة قليلة من الرعية ، وكانت هذه الثروة من مصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع ، ثم ثبت عجزهم عن استثمارها استثمارا رشيدا وأدى هذا العجز الى حرمان المجتمع من منافع هذا الاستثمار الرشيد ، كان لولى الأمر أن يتدخل بما يدرأ عن المجتمع هذا الضرر العام ٠ وهذا تطبيقا للقواعد الشرعية : « التصرف على الرعية منوط بالمصلحة » و « يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام » ٠

وقد يكون تدخل ولى الأمر بالزام هؤلاء الملاك باتباع الأساليب الرشيدة فى استثمار مصادر الانتاج ، أو ابقاء بعضها بين أيديهم على قدر طاقتهم فى الاستثمار والاستيلاء على باقيها ليتولى استثمارها على النحو الذى يفى بمطالب الجماعة وفاء طيبا ، بعد تعويضهم عنها تعويضا يعادل قيمة رأس المال ٠ هذا على افتراض أن كل هذه الثروة الضخمة قد آلت الى ملاكها بوسائل مشروعة اما اذا كان بعضها أو كلها قد آل اليهم بوسائل غير مشروعة ، فله ، بل يجب عليه الاستيلاء على هذا البعض أو الكل بغير تعويض٠ وهذا مافعله خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز عندما ولى الخلافة فوجد أن الكثير من أعضاء أسرته قد ملكوا الضياع والأموال بغير حق مشروع فنزعها منهم وردها الى ملكية الدولة لينتفع بها المسلمون جميعا ٠

هذه هى الآثار التى تترتب منطقيا على التكليف الأول الذى تفرضه تعاليم تراثنا الروحى على ملكية المال ٠

والحمد لله أننا قد ترجمناها **- على ضوء ظروف الزمان والمكان -** الى ما رسمته اشتراكيتنا العربية من تأميم، وانشاء قطاع عام الى جانب القطاع الخاص، وتخطيط اقتصادى شامل ٠

ان اشتراكيتنا العربية لم تفعل الا تطبيق هذا التكليف على ضوء ظروف هذا العصر ٠

فمصادر الانتاج التى عليها قوام المجتمع لا يصح أن تبقى محبوسة فى أيدى فئة قليلة تستأثر باستغلالها على حساب المجتمع واضرارا بالمجتمع بعد أن ثبت عجزهم عن استثمارها استثمارا رشيدا ، ومن هنا كان التأميم الاشتراكى حينما فرضت اشتراكيتنا هذا التأميم ٠

ووجوب اتباع أرشد السبل فى الاستثمار،ووجوب توزيع الناس أموالهم بين مصادر الانتاج المختلفة ، وواجب ولى الأمر فى معالجة التخلف الاقتصادى والاجتماعى الذى فرضه علينا الاستعمار ، ومن قبله عصور الانحلال - كل هذا فرض علينا سياسة التخطيط الاشتراكى فى كل صوره وأوضاعه ، وحماية للمجتمع من الأخطار التى أحدقت به من كل جانب ٠

هذا تطبيق ما فرضه الاسلام فى سياسة المال فى أول تكاليفه على ملكية المال ، وظاهر أن اشتراكيتنا العربية فى بعض جوانبها ليست الا ترجمة عملية لهذا التكليف الأول ٠ وفى مقال تال نعرض سائر التكاليف التى فرضها تراثنا الروحى على ملكية المال لنستكمل المطابقة بينها وبين سائر جوانب اشتراكيتنا العربية ٠٠

« دكتور محمد عبد الله العربى »

موقف الإسلام من الملكية الفردية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

الملكية الفردية هي التي يكون مالكها فردا معينا بذاته او افرادا معينين بذواتهم . وهذا النوع من الملكية يعطى مالكه – مبدئيا – حقوقا كثيرة يرجع أهمها الى حقين رئيسيين وهما حق الدوام ، وحق حرية التصرف .

أما حق الدوام فمعناه بقاء الملكية ما بقيت العين المملوكة ، وهذا الدوام يكون أحيانا دواما حقيقيا ، وأحيانا يكون دواما اعتباريا فيكون دواما حقيقيا اذا كانت العين المملوكة قابلة للاستهلاك وأتيح لصاحبها أن يستهلكها فى حياته . ففى هذه الحالة يصدق على الملكية أن يد مالكها بقيت مسيطرة عليها طوال المدة التى استغرقها بقاؤها . ويكون الدوام اعتباريا اذا كانت العين المملوكة غير قابلة للاستهلاك كالاراضى والعقار فيموت صاحبها وهى لاتزال فى حوزته ، أو قابلة للاستهلاك ولم يتح لصاحبها أن يستهلكها فى حياته ففى هذه الأحوال يتحقق الدوام فى صورة اعتبارية تواضعت عليها الشرائع التى تقرر الملكية الفردية . وذلك بأن تنتقل العين بعد وفاة مالكها الى من يوصى هو بانتقالها اليه أو الى من تقرر النظم الاجتماعية انتقالها اليهم من اقربائه عن طريق الميراث . ففى كلتا الحالتين لايعتبر هذا الانتقال تملكا جديدا من جميع الوجوه ، بل يعتبر بمثابة امتداد للتملك الأول ، لتحقيقه رغبة المتوفى فى حالة الوصية ، ولتعلقه بأفراد يمتون للمالك الاصلى بلحمة قرابة قوية تجعلهم صورة متجددة منه فى حالة الميراث . فكأن هؤلاء وأولئك ممثلون للمالك الاصلى ، وكأن الملكية الاولى نفسها لاتزال قائمة ، وان لبست ثوبا آخر غير ثوبها القديم .

واما الحق الثانى وهو حرية التصرف فمعناه ان يكون للمالك الحق في ان يفعل فى ملكه ما يشاء وفي ان يهمله فلا يفعل فيه شيئا . فحرية التصرف لها وجهان : وجه ايجابى ، ووجه سلبى . ويتمثل وجهها الايجابى في امور كثيرة من اهمها استغلال المالك للشىء المملوك ، اى استخدامه فى انتاج ثروة جديدة ، واستهلاكه وابادته وبيعه ورهنه وهبته بمقابل او بدون مقابل واعارته وتأجيره والوصية به ووقف غلته على فرد أو أفراد أو هيئة ما بعد الوفاة .

والاسلام يقر الملكية الفردية ، ويحيطها بسياج من الحماية ، كما تدل على ذلك الحدود والعقوبات الدنيوية والاخروية التى يقررها الاسلام لمختلف انواع الاعتداء على الملكية الفردية كالسرقة وقطع الطريق والغصب ونقل حدود الارض .. وما الى ذلك . . وفي هذا يقول الله تعالى : «والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم » ، ويقول فى قطع الطريق واغتصاب المال بالقوة المسلحة : « انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم» ، ويقول في النهى عن الحسد والنظرة النهمة الى ملكية الغير : «ولاتمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا» ، ويقول عليه السلام في نقل حدود الارض : «من اغتصب شبرا من ارض طوقه الله من سبع ارضين يوم القيامة» . ويجيز الاسلام للمالك ان يدفع عن ملكه بكل وسائل الدفاع حتى لو الجاه ذلك الى قتل المعتدى ، وفى هذه الحالة لاقصاص عليه ، واذا قتل هو يموت شهيدا لقوله عليه السلام : «من قتل دون ماله فهو شهيد» .

ولكن الاسلام ، مع اقراره للملكية الفردية

وحمايته لها بعمد الى حقوقها السابق ذكرها فيقيدها بقيود كثيرة ، ويضع على كاهل المالك في مقابل مابقى له من حقوق عدة واجبات يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام . ويقصد الاسلام من وراء ما يضعه من قيود على حقوق هذه الملكية ومايقرره من واجبات على مالكها الى اغراض عمرانية سامية ، فبفضل هذه القيود وهذه الواجبات يكفل الاسلام تحقيق العدالة الاجتماعية واستقرار التوازن الاقتصادى ، وتقليل الفروق المالية بين الطبقات والأفراد ، وتقريب الملكيات الفردية بعضها من بعض ، ويحول دون تضخم الثروات ودون تجميعها فى أيد قليلة ، ويقيم العلاقات الاقتصادية بين الناس على دعائم متينة من التكافل والتعاون والتواصى بالبر والخير والعدل والاحسان ويضع امثل نظام للضمان الاجتماعي ، ويجعل الملكية الفردية مجرد وظيفة يقوم صاحبها باداء خدمات للمجتمع ، ويجعل المالك مستخلفا على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله .

١ — وتتمثل القيود التى قيد بها الاسلام الحق الأول من حقوق الملكية ، وهو حق الدوام ، فى النظم التى وضعها لشئون الوصية والميراث .

فقد وضع الاسلام للميراث نظاما حكيما يكفل توزيع الثروات بين الناس توزيعا عادلا ، ويحول دون تضخمها ودون تجمعها فى أيد قليلة ، ويعمل على تذويب الفوارق بين الطبقات . وذلك انه يقسم التركة على عدد كبير من اقرباء المتوفى ، فيوسع بذلك دائرة الانتفاع بها من جهة ، ويحول من جهة اخرى دون تجمع ثروات كبيرة فى يد فئة محدودة من الملاك ، ويقرب طبقات الناس بعضها من بعض . فهو يورث الابناء والبنات ، والآباء والامهات ، والاجدادوالجدات ، والازواج والزوجات والاخوة والاخوات ، والاعمام وأبناء الاعمام ، وأبناء الاخوة واولاد الابناء ، بل يورث ذوى الارحام انفسهم فى بعض الاحوال ، فبفضل هذا النظام الحكيم لاتلبث الثروة الكبيرة التى يتفق تجمعها فى يد بعض الناس ان تتوزع بعد بضعة اجيال على عدد كبير من الانفس ، وتستحيل الى ملكيات صغيرة . وهذه هى امثل طريقة لتقليل الفروق بين الطبقات وتحقيق التوازن الاقتصادى ، وعلاج ماعسى ان يطرأ على هذا التوازن من اضطراب .

ولحرص الاسلام على تحقيق هذه الاغراض حرم كل اجراء يؤدى الى الاخلال بقواعد الميراث، وتوعد من يتعدى حدودها باشد عقاب فى الآخرة وفى هذا يقول الله تعالى بعد ان قرر هذه القواعد: «تلك حدود الله ، ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ، وذلك هو الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين».

ومن اجل ذلك يرى معظم فقهاء المسلمين انه لاتجوز الوصية لوارث لما ينطوى عليه هذا الاجراء من تحايل على قواعد الميراث واعطاء بعض الورثة اكثر من نصيبه الشرعى ، وعملا بقوله عليه الصلاة والسلام بعد ان نزلت آيات المواريث : «ان الله أعطى كل ذى حق حقه ، ألا لاوصية لوارث » ، وحتى الذين يجيزون منهم هذه الوصية يقيدونها في حدود الثلث من التركة . واما الوصية لغير القريب فجائزة باجماع الفقهاء تيسيرا لاعمال البر، ولكن فى حدود ضيقة لاتكاد تتاثر بها قواعد الميراث وهى حدود الثلث من التركة . وقد توخت الشريعة الاسلامية من هذا وذاك حماية القواعد الاشتراكية السامية التى وضعتها للميراث ووقايتها عبث المورثين واهواءهم .

ومن اجل ذلك أيضا ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى بطلان الوقف الأهلى ، وهو ان يحبس المالك غلة ملكه بعد وفاته على واحد او أكثر من اقربائه أو غيرهم بشروط يعينها وفق مشيئته ، لما ينطوى عليه هذا التصرف من اخلال بقواعد الميراث ، وما يؤدى اليه من تجميد للثروة ، وحبس لها عن التداول الطبيعى . وممن ذهب هذا المذهب ابن عباس رضى الله عنهما ، فقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بعد أن نزلت آيات المواريث : « لاحبس عن فرائض الله » ، اى لامال يحبس بعد موت صاحبه فلا يوزع على الورثة وفق فرائض الله . ومنهم كذلك القاضى شريح (وهو من كبار التابعين ، وقد ولاه عمر قضاء الكوفة ، وظل فى منصب القضاء ستين سنة، وقيل اثنتين وسبعين سنة) فقد قال ببطلان الوقف الأهلى وقرر أن شريعة محمد فى الميراث قد الغت هذا النظام . ومنهم كذلك اسماعيل بن الكندى الذى ولاه الخليفة المهدى قضاء مصر ، فقد ذهب الى ماذهب اليه القاضى شريح . بل ان منهم الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان نفسه ، فقد

قرر أن الواقف اذا علق الوقف بموته ، بأن قال اذا مت فارضى وقف على فـلان مثلا ، فان ذلك يكـون وصية لا وقفا ، وتجرى عليه أحكام الوصية ، واذا لم يعلقه بموته لم يعمل بقوله وتجب قسمة تركته على ورثته كل بحسب فريضته . وقد اعتمد على هذه المذاهب القانون المصرى رقم ١٨٠ لسنة ١٩٥٢ الذى صدر بعد الثورة اذ الغى جميع أنواع الوقف الاهلى وحظر اجراءه ، وقرر أن كل وقف من هـذا القبيل يعد باطلا فى المستقبل ، وقبل صدور هذا القانون بنحو أسبوعين نشر لى بجريدة « الأهرام » (عدد ٥٢/٨/٢٨) تحت عنوان : « الوقف الأهلى نظام فاسد يجب الغاؤه » مقال طويل بينت فيه مبلغ مجانبة هذا النظام لمبادىء الاسلام وقواعد الاقتصاد السليم .

فأين من هـذا النظام الاشتراكى الحكيم الذى وضعه الاسلام للميراث وأحاطه بسـياج قوى من الحماية ، أين منه نظم الغرب التى ينقل بعضهـا معظم ثروة المتوفى الى أكبر أبنائه ، ويدع كثير منها المالك حرا فى أن يوصى بتركته لمن يشاء ، فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة فى يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هـذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقـد على المجتمع ونظمـه ، فنشـأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، والاتجاهات الشيوعية الفاسدة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات والثورات العنيفة التى تعرضت لها أوربا فى العصور الحديثة .

وقد جعـل الاسـلام نصيب الذكور فى الميراث ضعف نظير نظائرهم من الاناث فى معظم الأحوال . فللذكر مثل حظ الانثيين فى الأولاد والأخوة الأشقة أو لأب مع أخواتهم ، وللزوجـة من زوجها المتوفى نصف نصيب الزوج من تركة زوجته ، ونصيب الأب من تركة ولده يبلغ فى معظم الاحوال ضعف نصيب الأم (انظر آيات ١١، ١٢، ١٧٦ من سورة النساء) .

وقد بنيت هذه التفرقة على أساس التفرقة بين اعباء الرجل الاقتصادية فى الحياة واعباء المرأة . فمسـئولية الرجل فى الحيـاة من الناحية المادية أوسع كثيرا فى الأوضاع الاسـلامية من مسـئولية المرأة . فالرجل هو رب الأسرة وهو القوام عليها والمكلف الانفاق على أفرادها ، وعليه وحـده تقع نفقة الأقرباء . على حين أن المرأة لايكلفها الاسـلام حتى الانفـاق على نفسـها . فنفقتها واجبة على أصولها أو فروعها أو أقاربها بحسب ترتيب الفقـه الاسلامى لهم فى وجوب النفقة اذا لم تكن متزوجة ونفقتها ونفقة بيتها وأولادها واجبة على زوجها اذا كانت متزوجة لا فرق فى ذلك بين ان تكون موسرة او معسرة . فكان من العـدالة اذن ان يكون حظ الرجل من الميراث اكبر من حظ المراة حتى يكون فى ذلك ما يعينه على القيام بهذه الاعباء المالية التى وضعها الاسلام على كاهله واعفى منها المراة رحمة بها وحدبا عليها وضمانا لسعادة الأسرة . بل أن الاسلام قد بالغ فى رعايته للمراة اذ أعطاها نصف نصـيب نظائرها من الرجال فى الميراث مع اعفائه اياها من اعباء المعيشة والقائها جميعا على كاهل الرجال .

٢ ــ وكما قيـد الاسـلام الحق الأول من حقى الملكيـة الفردية ، وهـو حق الدوام ، بالقيود التى تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية وتقليل الفروق بين الطبقات على النحو السابق بيانه ، قيد كذلك الحق الثانى وهو حرية التصرف بقيود تكفل عدم الاضرار بحقوق الآخرين وبالصالح العام .

ولذلك حرم على المالك كل تصرف فى ملكه يؤدى الى ضرر عام أو خـاص او ينطوى على اعتداء على حرية الآخرين . ولقد ذهب الاسلام فى هذا السبيل الى حد انه يجيز نزع الملكية من صاحبها اذا أساء استخدام حقه فيها ، ولم يكن ثمة وسيلة اخرى لمنعه من ذلك .

ولقد طبق الرسول صلوات الله وسلامه عليـه هذا المبدا تطبيقا عمليا على سمرة بن جندب . فقد كان لسـمرة بن جندب نخل فى بسـتان رجل من الأنصار . فكان سمرة يكثر من دخول البستان هو وأهله ، فيؤذى ذلك صاحب البستان . فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستدعى سـمرة وقال له « بعه نخلك » ، فأبى ، فقال « هبها لى ولك مثلها فى الجنة » ، فأبى ، فقال عليه السلام : « أنت مضار» أى تبتغى ضرر غيرك . ثم قال لمالك البستان « اذهب فاقلع نخله » . وروى يحيى بن آدم انـه كان للضحاك بن خليفة الانصارى أرض لا يصل اليها الماء الا اذا مر ببستان لمحمد بن مسلمة . فأبى محمد هذا ان يدع الماء يجرى بارضه . فشكاه الضحاك الى عمر بن الخطاب . فاستدعى عمر محمـد ابن مسلمة وقال له : أعليك ضرر فى أن يمر الماء ببستانك؟ قال لا . فقال له : « والله لو لم أجد له ممرا الا على بطنك لأمررته » .

ومن ذلك ايضا ما تقرره الشريعة الاسلامية من وجوب الحجر على الصبى والمجنون فيما يملكانه لأنهما لا يحسنان التصرف ، فيؤدى اعطاء الحرية لهما الى اضرار بهما وبورثتهما وبالشئون الاقتصادية العامة ، وتقرر كذلك لهذه الأسباب نفسها الحجر على السفيه ، وهو الذى يبدد ثروته ويتلف امواله فيما لا يجدى . غير أن الامام الأعظم ابا حنيفة النعمان يذهب الى عدم جواز الحجر على السفيه معللا مذهبه هذا بان فى الحجر عليه اهدارا لآدميته والحاقا له بالبهائم ، وان ضرر هذا الاهدار وهذا الالحاق يزيد كثيرا على الضرر المادى الذى يترتب على سوء تصرفه فى امواله . وهذا اتجاه اجتماعى جليل من الامام الأعظم ، وقد استوحاه من روح الاسلام وحرصه على احترام الحرية المدنية للعقلاء الراشدين من بنى الانسان .

٣ – ووضع الاسلام على كاهل المالك الفردى ، فى مقابل ما بقى له من حقوق ، واجبات واعباءكثيرة يؤديها للدولة وللمجتمع وللصالح العام وللمعوزين من الناس ، كزكاة النقد والأنعام وعروض التجارة وحاصلات الزراعة والخراج والضرائب والكفارات المالية والصدقات الموسمية كزكاة الفطر وما ينحر من الهدى فى الحج ويطعم منه البائس الفقير والصدقات المستحبة التى لا تخلو سورة من سور القرآن من الحث عليها والاشادة بفاعلها وبيانعظيم اجرها : « مثل الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم » . وبعض آيات القرآن تدل على أن الاسلام لا ينظر الى هذا النوع الأخير من الصدقات على أنه مجرد تصدق واحسان ، بل على انه حق للفقراء من مال الاغنياء . قال تعالى يصف المؤمنين : « والذين فى اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم » وقال : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله واولئك هم المفلحون » . فوصف هذا النوع من الانفاق فى هذه الآيات بانه حق للفقراء لا مجرد احسان من الأغنياء .

وكثير من ايات القرآن تدل على ان الاسلام ينظر الى التملك على انه مجرد وظيفة يقوم صاحبها بانفاق المال على مستحقيه وينظر الى المالك على انه مستخلف على ثروته من قبل الله لانفاقها فى سبيله . وفى هذا يقول الله تعالى : « آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ، فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » .

د. على عبد الواحد وافى

حب ويأس وكرامة

للشاعر : شوقى هيكل

بالله يا حبيبى يا معقد الرجاء
يا بسمة الصباح يا صبابة المساء
ما اجمل اللقاء .. ما أثقل الجفاء
حياتنا بالهجر ياحبيبتى شقاء
نعيمنا فى الحب .. ان يظله الولاء
لا حب لا حياة ، لا وصال لا هناء
ما اقبح الحياة ان خلت من الوفاء
ما اجمل الوفاء ! ما اعذب الوفاء !

* * *

بالله يا حبيبى .. لو ضاق بى الفضاء
واطبقت على جفاف ارضنا السماء
وصوحت زهورها عواصف الشقاء
وقوضت وهادها معاول الفناء
وغامت الأرجاء لارجاء .. لا رجاء
وآذنت امامى الحياة بانتهاء
لما كتمت الشوق أو منعتك الوفاء
ولا رجعت عن هواك حيث لا غناء
فحبك الغناء والسلام والضياء
وانت لى الوجود لا يدركه الفناء

* * *

حبيبتى اذا حظيت منك بالرضاء
وان منحتنى الهوى وصادق الولاء
ولو وقفت جانبى وجدت بالوفاء
ستسعدين مهجة اذابها الشقاء
وترحمين والها يؤوده العناء
قد شفه العذاب واسترقه البلاء

* * *

لئن ظللت ترفضين الحب فى اباء
وتعزفين عن رضاى دون ما سخاء
فلن احيد عن هواك .. انه قضاء
ولن الوذ بالبكاء لست اعرف البكاء
لكننى باليأس سوف اقتل الرجاء
واجرع الحرمان ان يكن هو الجزاء
منعما بعزتى فانها العزاء

الاشتراكية في تفكير عمر

بقلم: محمد محمد المدني

إن الاشتراكية فى واقع أمرها هى نمط من السلوك الاجتماعى الراقى المنبعث عن أخلاق الرحمة والعدل والايثار وتوفية الحقوق لأصحابها والترفع عن الاستغلال والاثرة والطغيان بالقوة أو بالمال أو بالجاه والسلطان .

وهذه المعانى الانسانية الراقية ، هى المعانى التى كانت تسود المجتمع الاسلامى فى عهده الاول يوم كان المسلمون كما يقول فيهم القرآن الكريم « أشداء على الكفار رحماء بينهم » « يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ، ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة » وكما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى » وكما يقول الشاعر :

على مكثريهم رزق من يعتريهم
وعند المقلين السماحة والبذل

وكلما قرا قارىء ، او بحث باحث ، فى تاريخ هذا العهد الأول ، تجلت له المثل الرفيعة من سلوكهم الاجتماعى ، ونظامهم الحكمى ، واخلاقهم الكريمة فى المحبة والتعاون والصبر والمرحمة والعدل ، واستطاع ان ينشر للناس صفحات مشرقات منها تكون لهم نبراسا يهتدون بنوره الذى هو من نور الله « ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور »

وفى تاريخ امير المؤمنين الاول **عمر بن الخطاب** الذى هو احد الافذاذ العباقرة من خريجى مدرسة النبوة الخاتمة ، مايدل دلالة واضحة على ان هذه المعانى السامية التى اصطلحنا حديثا على ان نطلق عليها لفظ « الاشتراكية » كانت تجد فى تفكيره وسلوكه الحكمى ، مجالا فسيحا ، وافقا رحيبا .

(١) فمن ذلك انه كان يؤمن بوجوب رعاية حقوق الفقراء فى المجتمع حفظا للتوازن بينهم وبين الاغنياء ، وان المجتمع الذى يجد الغنى فيه كل شىء ميسرا له ، بينما يحمل الفقير فيه كل ثقل ، وينوء تحت كل عبء ، ليس هو بالمجتمع الصالح ولا الراشد ، وليس هو بالمجتمع الذى يرضى الله ورسوله عنه .

لذلك كان يتجه الى الأخذ بايدى الفقراء والضعفاء ، ويحرص على ان يوفر لهم من المزايا ما يقابل به قوة الاغنياء اصحاب الثروات الطائلة الذين يستطيعون بما أوتوا ان يحتفظوا لانفسهم بمستوى صالح وان لم يظفروا بتلك المزايا ، وكان هدفه من ذلك ان يحقق لونا من الوان التوازن الاجتماعى العادل الرحيم .

● فقد قرانا فيما صح من تاريخه انه رضى الله عنه ، حمى قطعة واسعة من الارض العامة التى يرعى الناس فيها إبلهم وأغنامهم ، فخصصها بفقراء المسلمين لا يرعى فيها غيرهم من ارباب القطعان الكبيرة ، واستعمل على هذه الارض رجلا من خاصته يقال له « هنىء » ــ تصغير هانىء ــ واوصاه حين عهد اليه بها وصية ثمينة يقول فيها :

« ياهنىء : ضم جناحك عن الناس ــ اى لا تمد يدك الى أخذ شىء منهم كرشوة يرشونك بها ــ واتق دعوة المظلوم فانها مجابة ، وادخل رب الصريمة ورب الغنيمة ــ اى صاحب القطيع الصغير من الابل ، وصاحب العدد القليل من الغنم ــ واياى ونعم ابن عفان ، وابن عوف ــ اى انعامهما وماشيتهما الكثيرة العدد ، وكانا من كبار الاغنياء ــ فانهما ان تهلك ماشيتهما ــ اى من قلة الرعى ــ يرجعان الى زرع ونخل ــ اى يرجعان الى انواع اخرى من المال يملكانها من زرع ونخل ــ وان رب الصريمة والغنيمة ان تهلك ماشيته ــ اى لقلة الرعى ــ يأتنى ببنيه فيقول : يا امير المؤمنين ! افتاركه أنا لا اباك ؟ ! ، فالماء والكلأ ايسر من الذهب والفضة ــ اى فالماء والكلأ اللذان نمنحهما الآن لرب الابل والغنم القليلة حين تدخل ابله وغنمه لترعى فى هذه

الارض ، أيسر من الذهب والفضة اللذين نضطر الى انفاقهما عليه وعلى عياله اذا هلكت ماشيته جوعا وظمأ ثم جاءنا مستنجدا بنا ».

ثم قال عمر : « وايم الله انهم - اى الاغنياء امثال ابن عفان ، وابن عوف - ليرون انا ظلمناهم وان البلاد بلادهم ! والله لولا أن المال الذى احمل عليه - اى انتزعه - انما هو فى سبيل الله - اى فى المصالح - ماحميت على الناس من أرضهم شيئا ».

هذا هو نص الوصية التى أوصى بها عمر بن الخطاب من ولاه على هذه الارض ، ومنه يتبين ما يأتى :

١ - انه رضى الله عنه ، قد حمى أرضا عامة ، اى منعها من غير من خصصها لهم ، وهو قد خصصها لماشية الفقراء لتكون مرعى لها دون ماشية الأغنياء ، والغرض أنها أرض عامة لكل مواطن حق فيها بحكم هذا العموم وانها مملوكة للدولة .

٢ - وأنه علل هذا التخصيص الذى أمر به ، بأن أهل الثراء لهم من أموالهم وثرائهم مايغنيهم عن هذه الارض ، أما الفقراء أصحاب الابل القليلة والغنم القليلة ، فهم يعتمدون فى حياتهم على هذا المال القليل وحده ، وهو أدنى الكفاية ، فلو هلكت ماشيتهم لما وجدوا مالا غيرها يعيشون به هم وأولادهم .

٣ - وأنه كان يرى أن الدولة مسئولة عن الفقير الذى لا يجد ما يعيش به ، عليها أن تدبر له أمر معيشته هو وعياله . فلو جاءه أصحاب الابل والغنم القليلة التى هلكت لكان عليه أن يعطيهم من النقد مايكفيهم ، ويسد حاجتهم .

٤ - وأنه كان يعلم بما يتحدث به أهل الثراء من أن فى هذه المعاملة تفريقا بين المواطنين من أغنياء وفقراء ، وأن الارض لهم جميعا ، فلا يجوز تخصيص فريق دون فريق بالرعى منها - كان يعلم ذلك ولكنه لا يراه حقا ، فانه انما يحمى هذه الارض ويخصصها لماشية الفقراء دون الأغنياء قصدا الى المصلحة العامة والى ماتقضى به الحكمة فى معالجة فقر الفقراء ببذل الاكل والماء لماشيتهم قبل أن يحوج الامر الى بذل الفضة والذهب لهم فيما لو هلكت تلك الماشية ، ومن المعروف أن أصحاب الثراء هم الذين سيحملون عبء ذلك لو دعت اليه الظروف ، فولى الامر انما يدفع لهم من الاموال العامة التى لو نفدت لكان على الاغنياء أن يبذلوا فى حال نفاذها مايكفى الفقراء ، واذا كان الامر كذلك فاحتمال الاكل والماء من المرعى الآن أيسر من احتمال الذهب والفضة فى المستقبل .

٥ - وأنه كان يرى صنيعه هذا من ايثار الفقراء على الاغنياء عملا صالحا فى سبيل الله ، وليس عملا استبداديا تحكميا .

ذلك هو التحليل العلمى الواقعى لهذه القصة الثابتة عن عمر بن الخطاب فيما روته كتب السير والطبقات والحديث ، ومنها صحيح البخارى ، وتلك هى روح الاشتراكية الحقة وان لم تسم باسمها .

٦ - ومن ذلك أنه كان يؤمن بوجوب رفع المستوى العام للشعب ، وذلك يتفق وما تدعو اليه الاشتراكية السليمة التى هدفها اسعاد الشعب ، والعمل على أن تكون العدالة والتسوية فيه وتكافؤ الفرص بين أهله ، هادفة الى المستوى الرفيع ، لا الى التخفيض والتضييق ، وهذه السياسة الرحيمة العادلة هى سياسة القرآن الكريم ، ويدل عليها قوله تعالى « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » فانه تعالى يضيف الزينة اليه فيشرفها بهذه الاضافة ، ويؤيد هذا المعنى بالتصريح بأنه أخرجها لعباده لينفت الناس الى أنها مقصودة لله تعالى ، ومقصود تيسيرها بخلق موادها ، والهداية الى طرق صناعتها ، ويذكر الطيبات من الرزق ايذانا بأن طيبها هو سبب حلها ، وهذا كله يقتضى أن الاسلام يريد من الناس الا يكتفوا فى معيشتهم بمجرد ما يستر من اللباس ، وما يقيت من الطعام والشراب ، ولكنه يطلب منهم أن يتطلعوا الى مستوى فى المعيشة أرقى من ذلك ، بشرط عدم الاسراف ، وابتغاء مالا يخرج عن وصفه بأنه «زينة الله» وبأنه « الطيبات من الرزق » .

● وفى ضوء هذا المبدأ الاسلامى الذى تأخذ به الاشتراكية السليمة نورد هذه القصة التى رواها ابن سعد فى الطبقات ، والبلاذرى فى فتوح البلدان :

« قدم خالد بن عرفطة العذرى على عمر رضى الله عنه فسأله عن أخبار ما وراءه من الناس - وكان على القادسية - فقال له :

ياأمير المؤمنين : تركت الناس يسألون الله أن يزيد فى عمرك من أعمارهم . ما وطىء أحد القادسية الا وعطاؤه ألفان أو خمس عشرة مائة - اى ألف وخمسمائة - وما من مولود يولد الا ألحق فى مائة وجريبين فى كل شهر - اى أن المولود الذى يولد يلحق بمن يأخذون مائة درهم وجريبين ، والجريب

مكيال معروف عندهم ـ ذكرا كان ام انثى ، ومايبلغ لنا ذكر الا الحق على خمسمائة أو ستمائة ، فاذا خرج هذا لأهل بيت منهم من يأكل الطعام ، ومنهم من لا يأكل ، فماظنك به ؟ أنه لينفقه فيما ينبغي له وفيما لا ينبغي ! قال عمر ! الله المستعان ، انما هو حقهم أعطوه ، وانا اسعد بادائه اليهم منهم بأخذه ، فلا تحمدني عليه ، فانه لو كان من مال للخطاب مااعطيتموه ، ولكني قد علمت ان فيه فضلا ـ اى زيادة وسعة ـ ولا ينبغي أن احبسه عنهم ، فلو أنه اذا خرج عطاء احد هؤلاء ، ابتاع منه غنما فجعله بسوادهم ـ وسواد البلدة هو ما حولها من الريف وارض الرعى ـ فاذا خرج عطاؤه المرة الثانية ابتاع الرأس والراسين فجعله فيها ، فانى ـ ويحك ياخالد أخاف عليكم ان يليكم بعدى ولاة لا يعد العطاء فى زمنهم مالا ـ أى من قلته ـ فان بقى احد منهم او احد من ولده ، كان لهم شىء قد اعتقدوه ـ أى ادخروه ـ فيتكئون عليه ! فان نصيحتى لك وانت عندى جالس كنصيحتى لمن هو بأقصى ثغر من ثغور المسلمين ، وذلك لما طوقنى الله من امرهم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غاشا لرعيته لم يرح رائحة الجنة » .

وهذا نص مبارك يتضمن أمورا تتفق وماتريده الاشتراكية السمحة الواعية ، فهو يفيد :

١ ـ أن عمر كان يغدق العطاء للصغير والكبير ، قصدا الى رفع مستوى المعيشة بين الناس .

٢ ـ وأن الناس كانوا يحمدون له ذلك ، ويدعون له بطول العمر ولو من أعمارهم .

٣ ـ وأن خالد بن عرفطة راى عطاء عمر للناس كثيرا وقال له : انهم ينفقونه فيما ينبغي وفيما لا ينبغي لكثرته ، كانه يريد منه أن يقلله ، ولكنه لم يقبل مشورة خالد معللا ذلك بانه حقهم وقد اعطوه ، ولا يحب ان ينقصهم عنه .

٤ ـ وأنه نصح خالدا ـ وجعل نصحه له منسحبا على جميع الناس ـ بأن يعملوا على الادخار من عطائهم على سنة التدرج ، لئلا يكونوا من المبذرين . اهتداء بقول الله عز وجل « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا » « والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما » .

٥ ـ وأنه أشار فى هذا بوضع الأموال المدخرة فى وجه يؤدى الى نمائها عن طريق التثمير والتحريك وذكر فى هذا بشراء الرأس من الماشية أو الراسين والحاقهما بالمراعى ، احتياطا للزمان والحاجة ، وهى قاعدة اقتصادية سليمة ، فان التبذير والاسراف يضران بالفرد والمجتمع ، اما الادخار الذى يتسم بالوعي والبصيرة فى الاستثمار من الوجوه المباحة ، فهو خير وبركة على صاحبه وعلى الناس .

٦ ـ وأنه كان يرى هذا كله واجبا عليه للرعية لا يسعه الا ان يقوم به لئلا يكون غاشا لها ، مقصرا فيما ندبه الله اليه .

● **ومن طريف ما يروى فى ذلك** ، ويدل على ان عمر كان يعطى فيجزل ـ اذا كان العطاء لغيره ولغير أبنائه واهله ـ هذه القصة التى رواها ابو يوسف فى كتابه : الخراج ، وابن سعد فى كتابه : الطبقات : وذلك أن عمر أرسل الى أم المؤمنين زينب بنت جحش رضى الله عنها ، بعطائها الذى قرره لها ، فلما جاءها العطاء وجدته كثيرا وحسبت أنه انما أرسله اليها لتقسمه بين الناس نيابة عنه ، فقالت : غفر الله لعمر ! غيرى من اخواتى ـ تقصد من أمهات المؤمنين ـ كان أقوى على قسم هذا منى ، فقالوا هذا كله لك ! قالت : سبحان الله ! صبوه واطرحوا عليه ثوبا ، ثم قالت لبرزة بنت رافع : ادخلى يدك فاقبضى منه قبضة فاذهبى بها الى بنى فلان وبنى فلان ـ من اهل رحمها وايتامها ـ فقسمته حتى بقيت بقية تحت الثوب ، فقالت برزة : غفر الله لك يا أم المؤمنين ! والله لقد كان لنا فى هذا حق ، قالت: فلكم ماتحت هذا الثوب ، قالت برزة : فكشفنا الثوب فوجدنا خمسة وثمانين درهما ، ثم رفعت أم المؤمنين رضى الله عنها يديها الى السماء فقالت : اللهم لا يدركنى عطاء لعمر بعد عامى هذا ، فماتت رضى الله عنها ، فكانت أول ازواج النبى صلى الله عليه وسلم لحوقا به ، وظهر أنها كانت المقصودة بما أنبأ به النبى صلى الله عليه وسلم أزواجه حين قال « اسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا » ، فكن يقسن أذرعهن بعضهن ببعض ليعلمن ايتهن اطول ذراعا ، ظنا منهن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد المعنى الحقيقى لطول الايدى ، ولكنه كان يريد المجاز ، فعبر بطول اليد عن معانى البر والكرم ، وكانت زينب رضى الله عنها هى أجودهن وابرهن باليتامى والمساكين ـ وفى هذه القصة مثل من جودها وبرها بهم ـ حتى لقد كانت تعرف « بأم المساكين » ، فلما كانت أول أزواجه صلى الله عليه وسلم لحوقا به علمن أنه أراد معنى الجود والكرم فيها .

هكذا كان المجتمع الاول لأهل الاسلام ، وهكذا كانت روح عمر .

محمد محمد المدنى

اشتراكيتنا المثالية

بقلم : حامد عبد القادر

إننا اذا استقصينا نظم الحكم القديمة منها والحديثة تبين لنا أنها لا تعدو أن تكون ثلاث مجموعات من النظم .

الاولى : مجموعة النظم الفردية . ونظام الحكم او نظام الحياة السياسية الفردى هو الذى يسيطر فيه على الجماعة فرد أو أفراد ، بحيث يكون على الجماعة المحكومة المغلوبة على أمرها أن تقوم بالواجبات كلها او جلها ، تؤمر فتطيع ، فان عصت فعليها الغضب ولها العذاب الأليم . اما الأفراد الحاكمون فلهم أن يستمتعوا بالحقوق كلها أو جلها ، يأمرون فيطاعون ولا يسألون عما يفعلون .

الثانية : مجموعة النظم الجماعية أو الديمقراطية ، وهى على العكس من النظم السابقة ، لأنها هى التى تسيطر فيها الجماعة على شؤون الأمة ، اى أن الشعب تمثله هيئاته النيابية المختلفة هو الذى يحكم ولايكون لأى فرد أو أفراد معينين سلطة خاصة .

الثالثة : مجموعة النظم الجماعية المتوسطة ، التى يمكن أن نطلق عليها اسم « النظم الاشتراكية » ، لأن شؤون الدولة فيها مشتركة بين الشعب وهيئة حاكمة تختار من الشعب نفسه لتكون الهيئة المسؤولة مباشرة عن الأمور التشريعية والتنفيذية ، ولأن لكل من فريقى الحاكمين والمحكومين حقوقا وعليه واجبات .

ومن بين النظم الاشتراكية نظام معتدل يختلف اختلافا جوهريا عن كل من النظامين الفردى والجماعى المتطرفين ، ذلك هو النظام الذى يمكن أن نسميه النظام الاشتراكى المثالى .

والخلاصة أن نظم الحكم اما فردية واما جماعية واما مشتركة .

وقد يتطرف النظام الفردىفيصير نظاما استبداديا أو مطلقا ، ويتطرف النظام الجماعى فيصير نظاما شيوعيا أو بلشفيا . ويتوسط النظام الاشتراكى فيصير اشتراكيا معتدلا أو تعاونيا أو مثاليا .

ولا يخفى أن النظام الاستبدادى هو أسوأ نظم الحكم لما ينطوى عليه من مظالم ومفاسد تنشأ فى الغالب عن انحراف الفرد الحاكم عن جادة الصواب ، ومن شأن هذا أن يؤدى الى الاضطراب المدمر ، والفوضى المخربة التى قد تفضى الى ضعف الأمة ثم انهيارها .

والنظام الشيوعى أو البلشفى هو فى صورته المتطرفة نظام مادى لا يعترف بالأديان السماوية ، ولا يفكر فى الاهتداء بهديها ، بل انه قد يسخر منها ويستهزىء بها ، وهو مع ذلك لا يقر الملكية الشخصية ، ويوجب على الفرد أن يجد ويعمل فى حدود طاقته ، وعلى الدولة أن تحافظ على حياته وتمده بما يحتاج اليه من غذاء وكساء ومسكن وتعليم وترفيه .

وليس من شأن هذا النظام فى صورته هذه أن يكتب له الاستقرار ، لأن الشعب ان قبله فلن يتقبله بقبول حسن ، ولن يخضع له فى رضا واطمئنان ، وانما يتقبله مغلوبا على أمره ، منتهزا الفرصة للخروج عليه ان لم يستطع تعديله ، وبخاصة فى الأوساط المتدينة التى تؤمن بالله تعالى وتهتدى بهديه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وتدين بالحرية الفردية « فطرة الله التى فطر الناس عليها » .

هذا الى أن الهيئة المسيطرة سيطرة مباشرة على شؤون الشعب قد تنحرف أو ينحرف بعض أفرادها فتتسرب المطامع الشخصية الى نفوسهم ، أو يلحقهم الغرور فيسيئون التصرف فى شؤون الشعب ، ويكون حكمهم أشبه شىء بالحكم الاستبدادى المطلق .

فكلا الطرفين ذميم ، والنظام الوسط هو النظام المثالى ، وهو النظام الاشتراكى الذى وضع أسسه الاسلام ، وجاءت الثورة المباركة سنة ١٩٥٢ م فوضحت معالمه وبينت مفاهيمه ، وشرحته شرحا وافيا فى « الميثاق » .

- ٢ -

أن النظام الاشتراكي - كما يفهم من اسمه - يقوم على الاشتراك أو المشاركة في الواجبات والحقوق . ومعنى هذا أن النظام الاشتراكي يقوم على مبدأين اثنين هما :

١ - القيام بالواجبات ، أي أن يقوم كل مواطن ومواطنة بواجباتهم .

٢ - الحصول على الحقوق : أي أن يحظى كل مواطن ومواطنة بحقوقهم .

ويتضمن القيام بالواجبات أن يبذل كل فرد جميع ما لديه من طاقة جسمية وعقلية في القيام بما يفرضه عليه وضعه الاجتماعي من واجبات مادية أو معنوية باخلاص ونشاط .

ويتضمن الحصول على الحقوق أن يظفر كل مواطن ومواطنة بكل ما يستحقون من حقوق كاملة غير منقوصة مقابل ما يقومون به من واجبات ، دون تفرقة بين فرد ونظائره من المواطنين .

وتشمل الواجبات ، بالاضافة الى ما يجب على المواطن بوصفه عاملا أو من أرباب المهن الخاصة - ما يجب عليه نحو خالقه جل وعلا ، ونحو أسرته ، ونحو مسقط رأسه والبيئة التي تجاورها ، ونحو بيئته العامة وهي الوطن العام الذي ينتمي اليه ، ثم نحو البيئات العامة المجاورة لوطنه، وبخاصة تلك التي تربطه بها علاقات خاصة ، وأخيرا وليس آخرا نحو الانسانية بوجه عام .

ولا يكفي في عصرنا الحديث الناهض أن يقوم المواطن بما يجب عليه فقط ، بل لا بد أن يقبل على أداء واجباته راغبا فيها ، وأن يسير في أدائها مهتما به مخلصا فيه ، ثم ينجزها على الوجه الأكمل الذي يرضي الله ويريح الضمير .

وليس هذا فحسب بل لا بد أن يعاون المواطن زملاءه في انجاز ما بين أيديهم من أعمال ، وبخاصة تلك الاعمال الضخمة التي تتعدد نواحيها وتحتاج الى تعاون العاملين تعاونا حقيقيا .

كما يجب أن يتعاون المواطن وزملاؤه أرباب المهنة الواحدة على النهوض بمهنتهم ، والسير بها في طريق التقدم المستمر المساير للتقدم المهني العام الذي لا ينقطع تياره .

ويقصد بالتعاون أن يساعد كل من يقدر كل من لا يقدر بكل ما يقدر عليه من أعمال الخير الكفيلة ببناء المجتمع والنهوض به ، والدفاع عنه ، والمحافظة على تماسكه ، وعلى كرامته ، وعلى تراثه العلمي والأدبي والفني ، وعلى تقاليده الخاصة ومكاسبه التي حصل عليها الآباء والأجداد بجهادهم ومساعيهم .

- ٣ -

وتشمل الحقوق :

١ - حق المواطن وأفراد أسرته في حياة كريمة آمنة سعيدة ، وذلك بان تتخذ الدولة جميع الوسائل الكفيلة بحفظ حياته وأملاكه من الاعتداء ، ثم بامداده هو ومن يعولهم بما يحتاجون اليه من غذاء وكساء ومسكن وبما تصبو اليه نفوسهم من أسباب الترفيه.

ويتصل بحق المواطن في الحياة الكريمة الآمنة السعيدة حقه هو وأفراد أسرته في المعالجة الكاملة وذلك برعايتهم الصحية ، وتقديم الأدوية الضرورية لهم اذا أصابهم مرض .

وبدهي أن معالجة المرضى من المواطنين من الأمور الهامة التي يجب أن تعنى بها الدولة كما يعنى بها المصابون أنفسهم ، فان الامراض اذا انتشرت وفتكت بالمواطنين أعجزتهم وجعلتهم غير صالحين لأداء ما عليهم من واجبات ، وبذلك تقل الأيدي العاملة من الأمة وتضطرب أمورها .

٢ - بعد حق الحياة يأتي حق التملك ، وذلك بعدم حرمان المواطن أن يمتلك بالطرق المشروعة من الأراضي الزراعية والعقارات ونحوها ما تسمو به مقدرته المالية ، وتقره قوانين الملكية الخاصة التي تضعها الدولة للقضاء على الجشع الاقطاعي ، والحد من سيطرة رؤوس الأموال ، ومراعاة العدالة الاجتماعية في توزيع الثروة على المواطنين ، وذلك كله ليكون المجتمع اشتراكيا تعاونيا ، تذوب فيه الفوارق الطائفية البارزة ، ولا تطغى طائفة على غيرها .

٣ - ومن أهم الحقوق التي يجب أن يحظى بها المواطن حق التعلم ، وذلك بابراز مواهبه الجسمية والعقلية ، وتنميتها ، وتوجيهها ، وتدريبها حتى تبلغ أعلى درجات الكمال والكفاية ، ويصير المتعلم مواطنا صالحا .

ومعنى هذا أن خطة الدولة في تعليم المواطن وتربيته حتى يكون مواطنا صالحا يجب أن تقوم على:

(أ) الكشف عن مواهبه واستعداداته .

(ب) ابراز هذه المواهب .

(ج) تنميتها .

(د) توجيهها توجيها صالحا ملائما لها في كل دور من أدوار نموها .

(هـ) امدادها بالغذاء المادى والروحى الملائم لها أيضا .

(و) تدريبها على أسس فنية دقيقة .

والمواطن لا يكون صالحا الا اذا توافرت فيه شروط خاصة أهمها أربع هى :

(أ) القوة ، وتتضمن القوة الجسمية ، ورجاحة العقل ، وسداد التفكير ، ومتانة الخلق ، وتهذيب السلوك ، ويقظة الضمير .

(ب) الايمان ، ويتضمن الايمان بالله ايمانا صادقا يدعو الى طاعته ، والاطمئنان الى تأييده ونصره فى أوقات المحنة ، والايمان بالنفس ، والثقة بها وبامكانياتها ، والاعتماد عليها ، فلا يتخاذل ، ولا يتواكل اذا ما جد الجد ودعا داعى العمل ، والايمان بالوطن وبحقوقه المقدسة، والاعتداد بحريته وعزته وكرامته .

(جـ) الحرية ، وتشمل حرية التفكير والقول والعمل فى حدود الطاقة الذاتية ، وفى حدود القوانين الشرعية والوضعية ، بحيث يستمتع المواطن بجميع ما له من حقوق مشروعة ، ولا يعتدى ــ باسم الحرية ــ على غيره بالسب أو النهب أو الاستهزاء أو السخرية ، ولا ينسى ان هناك أشخاصا آخرين لهم ما له من حقوق فى الحياة والحرية .

(د) الشعور الوطنى القوى ، وذلك بان يدرك المواطن أكمل ادراك ماضى وطنه المجيد ، ومنزلته الرفيعة فى التاريخ القديم والحديث ، وما كان له من مواقف شريفة فى النضال فى سبيل الحرية والعزة والكرامة .

ومن الضرورى فى اثناء قيامنا بتربية المواطنين الناشئين الا نغفل عن تعرف حاجات مجتمعنا الاشتراكى ، وذلك لكى نمده بما يحتاج اليه من أنواع المثقفين المعدين اعدادا نظريا وعمليا لأن يقوموا خير قيام بما يعهد به اليهم من أعمال بمهارة ونشاط واخلاص .

٤ــ بعد حق الحياة والتملك والتعلم يأتى حق الحرية . ويراد بحق الحرية أن يكون المواطن حرا طليقا فى أعماله وتصرفاته الخاصة وفى ابداء آرائه ، وفى اعتناق ما يرتضيه من الأديان .

فيتصرف فى أملاكه وشؤونه الخاصة كما يشاء بالطرق المشروعة ، من بيع أو استبدال أو هبة ، أو رهن ونحوها .

ويبدى ما يريد أن يبدى من آراء فى الحياة الاجتماعية ونظمها ما دامت آراؤه بناءة يترتب على اتباعها نهوض الشعب أو صلاح ما يكون قد فسد من أحواله . أما الآراء الهدامة لأى نظام من النظم القائمة التى ارتضاها الشعب بوجه عام فلا يصح ابداؤها . وكذلك الآراء الالحادية التى تسىء الى العقيدة الدينية التى يعتنقها السواد الأعظم من الشعب .

وللمواطن أن يعتنق ما يشاء من العقائد الدينية التى يهديه اليها تفكيره ويرتضيها ضميره ، ما دام لا يحاول أن يغرى غيره بأى وسيلة من وسائل الاغراء أو الاكراه أن يهجر عقيدته الدينية .

ويقال فى حرية الصحافة ما قيل فى حرية الفرد فى ابداء الآراء .

ــ ٤ ــ

هذا ومن الواجب أن تقوم الاشتراكية المثالية على المبادىء الآتية :

١ ــ الاهتداء بهدى الدين الحنيف ، فما فيه من قيم روحية أخاذة ، وتوجيهات ربانية خالدة نفاذة كفيلة بأن تضىء قلب المؤمن بنور اليقين ، وتكسب نفسه هدوءا واطمئنانا لا يضارعهما هدوء واطمئنان، وتمنح شخصيته قوة لا تساويها قوة ، وتهب له طاقة ذاتية تجعله قادرا على أن يحيا حياة سعيدة ، حياة حق وخير وجمال ، وان هذه القيم الروحية القيمة كفيلة أيضا بأن تحرر الفرد من ربقة الذلة والعبودية ، فاذا به شجاع مقدام لا يهاب الموت فى سبيل الدفاع عن الحق ، ولا يخشى أحدا غير الله ، ولا يحنى رأسه الا له تعالى الذى هو وحده صاحب السلطان المطلق ، المسيطر على جميع شئون الكون ، فليس لأحد من خلقه مهما تكن منزلته ، سلطان على غيره ، والكل أمامه سواء ، أكرمهم عنده أتقاهم .

٢ ــ العدل الاجتماعى ، وهو أن يعطى كل ذى حق حقه من أجر أو جزاء بقدر ما يقوم به من أعمال فى سبيل النهوض بالوطن ، وقضاء حاجاته المادية أو المعنوية .

فالعدل الاجتماعى يستدعى أن يحصل كل فرد على حقوقه المشروعة التى ذكرناها من قبل كاملة غير منقوصة .

٣ ــ ويتصل بمبدأ العدل الاجتماعى المساواة .

وليس معنى المساواة أن يكون جميع المواطنين سواء فى كل شىء بحيث لا يفضل أحد غيره فى مال أو جاه ، فالمساواة المطلقة تكاد تكون مستحيلة ، لأن الأفراد يختلف بعضهم عن بعض فى المواهب والميول والاستعدادات اختلافا فطريا يؤدى حتما الى اختلاف أحوالهم المادية وتفاوت مراكزهم الاجتماعية ومنازلهم فى المجتمع الذى يعيشون فيه .

ومن فضل الله أن يوجد هذا الاختلاف ، فانه ضرورة لا بد منها لأن المجتمع المتعدد النواحي يتطلب فئات أو طبقات مختلفة من المواطنين تعنى كل منها بناحية من نواحي حياته المادية أو المعنوية ٠

ولو فرضنا أننا بدأنا حياتنا الاشتراكية بمساواة جميع المواطنين فى كل شيء فان هذه المساواة لاتلبث أن تضطرب بعد مضى عدد كاف من السنين ٠

ولنضرب لذلك المثل الآتى :

هب أننا أتينا بثلاثة أفراد من أوساط مختلفة من الناس ، وأعطينا كلا منهم مئة جنيه مثلا ، ومنحناه الحرية التامة في التصرف فيها كما يشاء ، ثم رجعنا اليهم بعد ثلاثة أعوام مثلا لنتعرفأحوالهم، ترى ماذا تكون النتيجة ؟

لقد دلت التجارب على أن هؤلاء الأفراد لايسلكون مسالك متحدة من التصرف فى مثل هذا المال ، بل ان النتيجة المتوقعة أن أحد الثلاثة قد يحرص على ذلك المال فلا يتصرف فيه ، بل يبقى عليه كما هو ، وقد يستغل ثانيهم هذا المال فى التجارة مثلا فينميه فيتضاعف بعد الثلاث السنوات ، وقد يتصرفثالثهم تصرفا أحمق ، فينفق ذلك المال فى ارضاء شهواته الجامحة ، فلا يبقى منه ولا يذر ٠

فمهما يكن من أمر فان المساواة التامة أو المطلقة عرضة للتذبذب ، ثم الزوال ٠ والمساواة المرضية المعقولة ، هى المساواة بين المواطنين المتساوين فى اقدارهم وواجباتهم ، بحيث لا يفضل أحد على زملائه من نظرائه الذين يقومون بواجبات مثل واجباته ، وكذلك المساواة بين الطوائف ، فانه يقصد بها أن يذوب ما قد يكون بينها من فوارق ، فلا تظفر طائفة دون غيرها بامتيازات خاصة ٠

فالمساواة المطلوبة اذن هى أن تتساوى الحقوق أو تتقارب حين تتساوى الواجبات أو تتقارب ، أو ان يظفر من يقومون بواجبات متحدة أو متقاربة بحقوق متحدة أو متقاربة ٠

وليست المساواة مقصورة على الحقوق ، بل أنها تشمل المسئوليات والعقوبات ، فكل مواطن لا بد أن يكون مسؤولا عن تقصيره اذا قصر فى أداء شيء من واجباته مهما تكن منزلته الاجتماعية ٠

ويقضى مبدأ المساواة بالا تختلف العقوبة التى يفرضها القانون علىارتكاب جريمةما باختلاف الأفراد حينما تتساوى ظروفهم وأحوالهم ٠

وانما قلنا : « حينما تتساوى ظروفهم وأحوالهم » لأن العقوبة الواجبة على ارتكاب جريمة ما كالقتل قد تختلف باختلاف حالات الجناة ، فالقتل قد يكون خطأ غير متعمد ، وقد يكون عمدا ، والقتل العمد قد يكون للدفاع عن النفس وقد يكون للأخذ بالثأر ، وقد يقع القتل من عاقل مسؤول ، وقد يقع من مجنون غير مسؤول عن تصرفاته ٠

ومن مظاهر المساواة أن تتساوى الواجبات أو الأعمال التى يعهد بها الى ذوى المؤهلات المتحدة ، فالواجب أن تفتح الأبواب أمام ذوى المؤهلات المتحدة جميعهم على السواء ، كلما كان ذلك ممكنا ، وأن تتحد أو تتقارب الأعمال التى يعهد اليهم بها ، كلما كان ذلك ممكنا أيضا ٠

وهذا هو الذى تسير عليه اشتراكيتنا المثالية المباركة ، فالدولة لا تدخر وسعا فى فتح أبوابالعمل لجميع المواطنين على السواء ، وهى فى الوقت نفسه تضع أسسا عادلة لتفضيل بعض المواطنين على بعض فى هذه الناحية حين يزيد عدد المؤهلين على عدد الأماكن أو الوظائف الخالية ٠ ومن هذه الأسس امتحانات المسابقة ، والموازنة بين الدرجات التى يحصل عليها المتخرجون فى معاهد التعليم ٠

بقى مبدأ هام يجب على كلمواطن أن يضعه نصب عينيه ، سواء عند قيامه بواجباته ، وعند أداء الحقوق لمستحقيها ، وعند معاملة الناس حين يخالطهم فى المجتمعات العامة ٠ ذلك هو :

٤ ـ مبدأ الاخاء أو المحبة أو التعاطف بين جميع المواطنين ، فان ذلك كفيل بأن يوحد كلمتهم ، ويجمع صفوفهم ، ويوحد أهدافهم ، ويجعلهميسيرون جنبا الى جنب متآخين متحابين متعاطفين نحو أهداف واحدة هى قوة الأمة ، وحريتها ، وسلامتها ، وسعادتها ٠

ولا ريب أن هذه تؤدى حتما الى قوة الفرد وحريته وسلامته وسعادته ، اذ أن ما يصيب المجتمع لا بد أن يصيب الأفراد ٠

ومن مظاهر الاخاء والمحبة أن يعطف الرؤساء على المرؤوسين ، والا يستغل التجار المستهلكين ، ولا يتعاظم الأغنياء على الفقراء ، ولا يعتدى الأقوياء على الضعفاء ٠

هذه هى الأسس المتينة والمبادىء القويمة التى تقوم عليها اشتراكيتنا المثالية ، وقد وضحها « الميثاق » أتم توضيح ، ومن السهل الاستدلال على صحتها بآى الذكر الحكيم وأحاديث الرسول الكريم وسيرة الخلفاء الراشدين ، التى هى منابع الهداية السديدة ، ومصادر القيادة الرشيدة ، والله ولى التوفيق ٠

« حامد عبد القادر »

المجتمع الاشتراكي والتفرقة العنصرية

للدكتور عبد العزيز كامل

- ١ -

اود في هذا المقال أن اقصر القول على الاشتراكية العربية ، فهذه الاشتراكية تقوم على أساس عريض من القيم الاسلامية التي ورثناها وعشنا بها وجاهدنا من أجلها ، ووقفت بها بلادنا امام الغزو التتارى والصليبي والاستعمارى الحديث حتى استطاعت أن تتحرر من هذه القوى الغازية وأن تثبت وجودها في المعترك العالمي بيضاء نقية .

وحين أقول القيم الاسلامية فانى أذكرها في شمولها الذى يقيم القيم الدينية كلها ويوضحها قول النبي عليه الصلاة والسلام « ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتا فحسنه وجمله الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يلفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة . فأنا هذه اللبنة، وأنا خاتم النبيين » (رواه الشيخان) .

وتجمع هذه الاشتراكية بين الاصول التي قامت عليها الحياة في مجتمعنا وبين التطورات العلمية التي استطاعت الانسانية بكفاحها الطويل أن تصل اليها . ومن هذه الزاوية نستطيع أن ندرك طبيعتها العلمية وتكاملها وتميزها في نفس الوقت عن الاشتراكيات المادية التي يموج بها العالم المعاصر . فقد تلتقى هذه الاشتراكيات مع اشتراكيتنا العربية في بعض التطبيقات ، ولكنها تختلف عنها اختلافا جوهريا في الأساس الذى تقوم عليه .. »

من أجل ذلك يمكن أن نعرض مشكلة التفرقة العنصرية من جانبين : **الاول** ما قاله الدين فيها **والثاني** ما قاله العلم الحديث وجاء - عمليا - مصدقا لما قاله الدين من قبل .

فعندما وصف الله الامة الاسلامية بأنها خير أمة أخرجت للناس ، لم يرد هذا الى أسباب عنصرية أو لونية وانما قال فيها ، « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » ، وجعل التفاضل بأعمال تكتسب من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وايمان بالله . والطريق اليها مفتوح أمام الناس جميعا .

وكان الخلفاء الصالحون يجتهدون في نشر هذا الدين لتصبح هذه الأمة تشمل البشرية . وعندما زاد اقبال الناس على الاسلام في عهد الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز كتب اليه عدى بن أرطاة - عامله على العراق يقول « ان الناس قد كثروا في الاسلام حتى خفت أن يقل الخراج » ، فكتب اليه عمر بن عبد العزيز يقول ، « والله لوددت أن الناس كلهم أسلموا حتى نكون أنا وأنت حراثين نأكل من كسب أيدينا » .

وهذا المعنى - معنى حب الخير للناس جميعا ودعوتهم الى التقوى والعمل الصالح واسقاط التفاخر بالآباء والسلالات يمكن أن نجده واضحا في قول الله تعالى « يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ، ان الله عليم خبير » .

وجاء في سبب نزول هذه الآية أنه لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا ، - وكان حبشيا - أن يؤذن على ظهر الكعبة . فقال عتاب بن أسيد ، وقد أسلم يوم الفتح واستعمله النبي عليه الصلاة والسلام على مكة حين انصرف عنها بعد الفتح وسنه يومئذ عشرون - قال عتاب «الحمد لله الذى قبض أبى حتى لم ير هذا اليوم»وقال الحارث بن هشام « أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا ؟ » ، وقال سهيل بن عمرو « ان يرد الله شيئا يغيره » ، وقال أبو سفيان « انى لا أقول شيئا أخاف أن يخبر به رب السماء » ، فأتى جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالوا ، فدعاهم وسألهم عما قالوا ، فأقروا ، فأنزل الله

تعالى هذه الآية ، وزجرهم عن التفاخر بالانساب والتكاثر بالاموال والازدراء بالفقراء ٠

وكان عمر بن الخطاب يقول « ابو بكر سيدنا واعتق سيدنا » يعنى بلالا مؤذن الرسول ٠

وعندما احتضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدم صهيبا ـ وكان روميا ـ فصلى بالمهاجرين والانصار ٠

وقال عليه الصلاة والسلام « أنا سابق العرب وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش » رواه الحاكم عن أنس ٠ والحديث يجمع بين هذه الباقة الانسانية على تباعد ديارها واختلاف ألوانها بعد أن جمع بينها الاسلام ٠

وعبر النبى عليه الصلاة والسلام عن هذا أوفى تعبير فى حجة الوداع فقال : « أيها الناس ان ربكم واحد وان أباكم واحد ٠ كلكم لآدم ، وآدم من تراب ٠ اكرمكم عند الله أتقاكم ٠ وليس لعربى فضل على عجمى الا بالتقوى » ثم نظر الى الناس قائلا : وأنتم تسألون عنى فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ٠ فأشار باصبعه الى السماء والى الناس قائلا : اللهم ٠ أشهد ٠ اللهم اشهد ٠ اللهم اشهد ٠ »

وبهذا أعلن الاسلام حقوق الانسان منذ أربعة عشر قرنا وآخى بين الناس جميعا وجعل التفاضل بينهم بالعمل الصالح ٠

وجاءت حياة الصدر الأول من أصحاب نبينا تطبيقات عملية على هذه الاصول العريضة ٠ فعمر بن الخطاب يقول : والله لئن جاءت الاعاجم بالاعمال وجئنا بغير عمل ، فهم أولى بمحمد منا يوم القيامة ، فان من قصر به عمله ، لم يسرع به نسبه ٠وتزوجت اخت عبد الرحمن بن عوف ـ من اشراف قريش ـ من بلال بن رباح ٠ وكان رقيقا اشتراه ابوبكر ثم أعتقه ، وفى هذا يذكر الامام ابن حزم فى كتابه المحلى « وأهل الاسلام كلهم اخوة ٠ لايحرم على ابن من زنجية نكاح ابن الخليفة الهاشمى » ثم قال بعد أن عرض أقوال الفقهاء ، والحجة فى ذلك قول الله ٠٠ : « انما المؤمنون اخوة » ٠ وقال الامام مالك « الكفاءة فى الدين لا غير » ٠ والأئمة يستندون فى تكافؤ المسلمين الى أصول هذا الدين ومن هذا قول النبى عليه الصلاة والسلام « اذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير» رواه الترمذى ٠ وقال الامام الشافعى : « لم يثبت فى اعتبار الكفاءة بالنسب حديث » ويمكن لمن شاء التوسع فى هذا الموضوع أن يرجع اليه فى أمهات كتب الفقه كالمحلى لابن حزم فى الجزء العاشر ، وفى نيل الأوطار للشوكانى فى الجزء السادس ٠

ودرس علماؤنا شروط الامامة العامة للمسلمين فذكروا منها أن العلم والعدالة والكفاية وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر فى العمل والرأى واختلفوا فى شرط النسب القرشى ٠ أما النسب القرشى فلاجماع الصحابة يوم السقيفة على ذلك ٠ واحتجت قريش على الانصار لما هموا يومئذ ببيعة سعد بن عبادة بقوله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قريش » فحجبوا الانصار ٠

ويذكر الامام القرطبى فى تفسيره عند شرح قوله تعالى : « واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة » أن شرط القرشية مختلف فيه (١ : ٢٧٠) ويعقب ابن خلدون فى مقدمته على هذا الموقف بقوله « ونحن اذا بحثنا عن الحكمة فى اشتراط النسب القرشى ٠٠ لم نجدها الا فى اعتبار العصبية التى تكون بها الحماية والمكالبة ، ويرتفع الخلاف والفرقة بوجودها لصاحب المنصب فتسكن اليه الملة وأهلها ٠٠ ذلك لأن قريشا كانوا عصبية مضر وأصلهم وأهل الغلب منهم ٠٠ فكان سائر العرب يعترف لهم بذلك فاذا ثبت أن اشتراط القرشية انما هو لدفع التنازع ٠٠ وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجيل ولا عصر ولا أمة ، علمنا أن ذلك انما هو من الكفاية فرددناه اليها وطردنا العلة المشتملة على المقصود من القرشية وهى وجود العصبية فاشترطنا فى القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها » ٠٠

(المقدمة ص ١٨١ ـ ١٨٥ ط الأميرية بالقاهرة)

والذى يهمنا من شرح ابن خلدون تفسيره لشرط القرشية واشتراطه فى القائم بامور المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبة على من معها لعصرها وقدرة رئيس الدولة على جمع الكلمة وأن يكون أنفع الناس للناس ٠

وبهذا تتحقق المساواة فى نظام الحكم كما تحققت فى نظام الأسرة وفى البناء الاجتماعى كما تحققت

– من قبل – بها كرامة الانسان كفرد فى اسلوب متطور نابع من أصول الدين غير متعارض معها .

ومجتمعنا الاشتراكي فى طريقه لتكوين جيل تتحقق به – فى صورة ملائمة لتطورنا – ماسماه ابن خلدون بعصبية القائم بأمر المجتمع..فهذه العصبية الواعية قد تكون فى صورة رأى عام له قاعدة شعبية منظمة فى كيان سياسى يجمع بين قوة الروح وقوة الفكر وينطلق على هدى وبصيرة لتحقيق أهدافه .

***

يبقى بعد هذا جانب من المشكلة العنصرية وهو **نظرة الدين الى اللون** . وسأقف قليلا عند كلمتين أو مادتين من كلمات القرآن الكريم : الأولى السواد والثانية البياض .

فلقد جاء ذكر السواد فى القرآن عشر مرات : ثلاث منها بمعنى السيادة الأولى فى وصف سيدنا يحيى (آل عمران : ٣٩) والثانية فى عزيز مصر فى قصة يوسف (يوسف : ٢٥) والثالثة فى قوله تعالى « وقالوا ربنا انا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا » (الأحزاب : ٦٧) وفى هذه المواضع نجد السيادة مدحا أو ذما والثالثة فى عرض القصة دون مدح أو ذم .

وجاء السواد خمس مرات فى وصف حالة تعترى الوجه لا باعتبارها صفة لازمة له : منها موضعان فى سورة آل عمران عن اسوداد وجوه الكافرين يوم القيامة(آية : ١٠٦) ولهذا صلة بعذابهم . وموضع ثالث فى سورة الزمر لنفس الموقف (آية : ٦٠) ، ثم مرتان وصفا لحالة قوم تسود وجوههم اذا بشروا بالأنثى : مرة فى سورة النحل (آية : ٥٨) والثانية فى سورة الزخرف (آية : ١٧) .

يبقى بعد هذا موضعان جاء أولهما وصفا لقطع من الجبال فى قوله تعالى فى سورة فاطر (آية : ٢٧) « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود » فالوصف هنا اظهار لقدرة الله تعالى . وجاء مع ذكر الاجزاء البيض والحمر . والموضع العاشر فى وصف الليل فى سورة البقرة (آية ١٨٧) « وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الأسود من الفجر » .

وصفوة القول أن مادة « سود » جاءت فى القرآن الكريم مبينة للسيادة وجاءت مدحا وذما وسردا ووصفا لظاهرات كونية كتعاقب الليل والنهار واختلاف ألوان الصخور ثم وصفا لبعض مشاهد القيامة . فلا نستطيع أن نقصرها على المدح أو الذم . واللون الأسود بهذا ليس له فى القرآن منزلة يختلف بها عن سائر الالوان .

فاذا انتقلنا الى اللون الأبيض وجدنا نفس الصورة : جاء فى القرآن فى أحد عشر موضعا . واذا شئنا تحديد الاشتقاقات نجدها سبعة ، بينما عدد الاشتقاقات التى جاءت من السواد تسعة .

جاء البياض فى سورة يوسف وصفا لأشد حالات الحزن فيما يخبرنا به ربنا عن يعقوب عليه السلام حينما بكى على ولده « وابيضت عيناه من الحزن » « يوسف : ٨٤ » . وجاء وصفا لوجوه المؤمنين فى الآخرة مرتين : فى سورة آل عمران (آيات : ١٠٦ ، ١٠٧) . وجاء وصفا لحور الجنة فى سورة الصافات ، «كأنهن بيض مكنون» (آية : ٤٩) .وجاء وصفا للفجر فى سورة البقرة « الخيط الأبيض » (آية ١٨٧) وجاء وصفا للجبال فى سورة فاطر « ومن الجبال جدد بيض وحمر » (آية : ٢٧) وجاء وصفا ليد سيدنا موسى . وربط البياض بأنه من غير سوء فى سورة الاعراف (آية : ١٠٨) وطه (آية ٢٢) والنمل (آية ١٢) والقصص (آية ٣٢) ثم وصفا لشراب الجنة فى الصافات (آية : ٤٦) .

فالأوصاف هنا أيضا قد تدل على الحزن الشديد أو على الجزاء الطيب ، وقد ترتبط بظاهرة صخرية أو كونية . وقد تكون وصفا للمرأة أو ليد الرجل ويقيد الوصف بأنه من غير سوء .. فشدة البياض مرض كما تعلم .

فهل البياض فى القرآن مدح أم ذم ؟ لا هذا ولا ذاك بنصوص الآيات . وكذلك الأمر فى السواد . والحجة الكبرى فى هذا قول الله تعالى « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

هذا ما قاله الدين أما ما قاله العلم الحديث فموعدنا معه حديث مقبل .

د . عبد العزيز كامل

الإسلام وتطوير المجتمع

للدكتور : أحمد كمال ابو المجد

- ١ -

لا يملك المفكر العربى المعاصر ، كما لا تملك الجماهير العربية المؤمنة فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل حياتها الا أن تواجه فى عقولها وفى وجدانها سؤالا كبيرا عن موقف الاسلام من التحول الثورى الكبير الذى ينتاب أنظمتها السياسية والاجتماعية انطلاقا فى طريق الاشتراكية العلمية وما ينطوى عليه هذا الطريق من تغيير جذرى فى أسس العلاقات الاجتماعية ، وفى كثير من المفاهيم والقيم التى تحدد هذه العلاقات ٠٠ ويستمد هذا السؤال الكبير دقته وحيويته من أمرين : **أولهما** : ما استقر فى فهم كثير من المسلمين من أن الدين بحكم خلوده وكماله يمثل معنى الثبات فى حياة البشرية ، وأنه يطالب أتباعه « بالوقوف » عندما جاءت به نصوصه من أحكام وتعاليم ، بحيث تغدو مسايرة التطور الاجتماعى تهديدا لجوهر الرسالة الدينية ، وانطلاقا وراء أهواء بشرية ، وحكما بغير ما أنزل الله على نبيه ٠٠ **والآخر** : ما تصوره كثير من دعاة الاشتراكية العلمية والمؤمنين بها من أن المنهج العلمى فى احداث التغييرات الاجتماعية يقتضى النزول المطلق عند حكم التجربة ومقتضى التطور دون التفات الى ما قد تتضمنه النصوص الدينية من أحكام وتعاليم ، ودون محاكمة للاوضاع الاجتماعية الجديدة وردها الى نصوص ومبادىء تقررت فى مراحل تاريخية سابقة ٠٠ ويرى أصحاب هذا النظر أن الدين ـ من هذه الزاوية ـ يعد عقبة فى وجه التطور بما يتخذه من مواقف ثابتة مسبقة من أمور وظواهر تخضع ـ بحكم المنهج العلمى وبدلالة التاريخ ـ للتطور والتغير المستمرين ٠

ولا شك عندنا فى أن وجود هذين التصورين واستمرارهما هكذا دون مناقشة أو تمحيص يشكل خطرا مزدوجا على حياتنا العامة فى هذه المرحلة ٠٠ فهو يهدد من ناحية بوقوع انقسام فكرى بين فئتين من الناس ، تصدر أولاهما فى حياتها وفى مواقفها الاجتماعية عن التصور الدينى الاول ٠٠ وتصدر الاخرى عن المفهوم العلمى الآخر ٠٠ وهو يهدد من ناحية أخرى بقيام نوع من الحيرة العقلية والنفسية عند جانب كبير من الناس نتيجة التقاء هذين الموقفين فى عقولهم ونفوسهم على صورة تمزق وحدة كيانهم النفسى ٠٠ وتلزمهم نوعا من السلبية والاحجام ٠٠ وتقعد بهم عن الانطلاق الايجابى الذى لا تقوم بغيره حضارة ، ولا تتم نهضة ٠

ولا نحب هنا أن نخدع أنفسنا عن حقيقة هذه المشكلة كما يفعل كثير من الناس فنراها على غير حقيقتها ٠٠ ونزعم أن موقف المعترضين على التغيير انما يصدر ـ فى حقيقته ـ عن بواعث واعتبارات مصلحية وأن الصراع بينهم وبين دعاة التغيير ،ليس فى جوهره ، وحين ينزع قناع الموضوعية الكاذب عنه الا صورة من صور الصراع الطبقى ٠٠ لا نفعل ذلك لأننا لا نحب أن نخدع أنفسنا أولا ، ولأننا لا نؤمن أن كل صراع فكرى لابد أن يعكس صراعا طبقيا كما تخيل هؤلاء ثانيا ٠٠ ولاننا فوق ذلك كله نعرف عن كثب كيف يعانى كثير من الناس هذه المشكلة وكيف يتخذون مواقفهم منها فى أمانة وشجاعة وصدق ٠٠ ونحن لانحب كذلك أن نخدع أنفسنا عن حقيقة موقف الفريق الآخر فنزعم أنهم بدعوتهم الى التغيير انما ينفذون مؤامرة محكمة دبرت بليل للقضاء عن الاسلام والكيد للمسلمين ٠٠ لأننا نعلم علم اليقين أن منهم ناسا لايكرهون الاسلام ولا يحملون لأهله كيدا ولا ضغنا ٠٠ وأن منهم طائفة أخرى لا يقع الدين باكمله فى دائرة وعيها حتى يقوم

المبرر لتفسير مواقفها النظرية والعملية على أساس موقفها الاساسي من هذا الدين ٠

وأنا أعلم أنني بهذا التمهيد الذي دافعت فيه عن الفريقين قد أجلب على نفسي سخط الفريقين جميعا٠٠ كما أعلم انني استفتح حديثا لا أدري كيف ينتهي بي وبالقراء ٠٠ ولكنني أعلم حق العلم أنه حديث ينبغي أن يستفتح ٠٠ وأنها مشكلة لابد أن تثار ٠٠ لأنها قائمة فعلا في عقول ونفوس كثيرة ٠٠ ولأن اثارتها فرض واجب في منطق الدين ومنطق العلم على السواء ٠٠ وسيكون حظي من معالجة هذه المشكلة أن أقف مع القارىء وقفات هادئة عند بعض القضايا التي تتصل بالاسلام وبطبيعته ، وبتصوره الشامل للحياة وما فيها من المخلوقات ٠٠ والقيم ٠٠ والعلاقات٠٠ ومع بعض القضايا الاخرى التي تتصل بالمجتمع وما يحكم علاقات الناس في داخله من سنن وقوانين ٠ وذلك ايمانا بأن كل جهد يبذل لتوضيح هذه القضايا وبالقاء المزيد من الضوء عليها يعد خطوة في طريق المواجهة المباشرة للقضية الأساسية التي تطرحها وهي قضية «الاسلام وتغيير المجتمع» ٠٠

١ ـ القضية الاولى : أن الاسلام ليس مجرد تراث لهذه الامة :

ان فريقا من الكتاب والمفكرين قد اعتادوا أن ينظروا الى الاسلام على أنه مجموعة من الأفكار والتعاليم والنظم عاشها جانب من المجتمع البشري خلال فترة من تاريخه ٠٠ وأنه بهذه المثابة يكون جزءا من تاريخ هذه الامة العقلي والنفسي ٠ ٠ وقد يكون من أهم أجزاء تاريخها وقد يكون أهمها على الاطلاق ولكنه على أي حال جزء من التاريخ ٠٠ وأقصى ما يتصوره هذا الفريق من رعاية للاسلام أن يسلم في موضوعية ـ لا تخلو في تقديره من المجاملة ـ استمرار التاريخ البشري واتصال أجزائه بعضها ببعض ، وأن يقرر في ضوء هذا التسليم أن الاسلام لابد أن يؤثر بوعي أو بغير وعي في عمل القادة والجماهير في هذه المرحلة الحاضرة ٠٠ ولكنه يعامله بعد ذلك على أنه « تراث » يؤخذ منه ويترك كما يؤخذ ويترك من كل تراث ٠٠ والواقع أن موقف هذا الفريق مفهوم تماما اذا ذكرنا انه يبدأ من موقف واحد محدد هو موقف المؤمن بتطور المجتمع الواثق من وجود قوانين حتمية تحكم هذا التطور وتحدد اتجاهه ٠٠ والمعتمد في كشف هذه القوانين وتحليلها ٠٠ وفي ممارسة عملية تغيير المجتمع في جوانبها كلها على العلم الذي تحكمه المشاهدة وتوجهه التجربة ٠ وهذا الموقف الاساسي هو الذي يحدد نظرة هذا الفريق الى التراث وهو الذي يفسر موقفه منه ٠٠ فهو يسقط من هذا التراث ـ ولا يبالي ـ كل فكرة ٠٠ وكل قيمة ٠٠ وكل نظام ٠٠ يتعارض ـ في تقديره ـ مع دفع حركة المجتمع في الطريق الذي يشير اليه العلم ٠٠ وهو يستبقي من هذا التراث نفسه كل قيمة وكل نظام يدفع حركة المجتمع في طريقها المحتوم أو لا يقف في وجهها على أقل تقدير ٠

ونحن نقر هذا المسلك .. ونؤيده تماما حين يكون التراث شيئا غير الاسلام٠٠ أما مع الاسلام فلا ٠٠ فان الاسلام في أصوله العامة ، وقواعده الكلية ، وتشريعاته الاساسية ليس عرفا ولا تقليدا خلقته البيئة أو صنعه الرجال ٠٠ وعلى المفكرين الاشتراكيين اذا أرادوا أن يكونوا علميين ، أن يقفوا هنا أكثر مما أعتادوا أن يقفوا مع قضايا الدين ، وأن يلاحظوا ما تدل عليه الدراسة الموضوعية من أن الاسلام لم يكن مجرد تعبير عن مجموعة القيم والنظم والافكار التي ولدتها أو اقتضتها مرحلة تاريخية معينة من مراحل تطور المجتمعات ٠٠ بل انه لو وضع اليوم في الاطار التاريخي والبيئي الذي أحاط بظهوره لبدا خارجا على منطق التطور المألوف ٠٠ بما انطوت عليه تعاليمه وشرائعه من سبق بعيد لما أحاط بها من عناصر البيئة وأوضاعها ٠٠ فهو بهذه التعاليم والشرائع لم يكن اذن مجرد حل لمتناقضات البيئة التي ظهر فيها ٠٠ وانما كان ـ في الواقع ـ حلا لمتناقضات لم تقم أصلا في الجزيرة العربية عند بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم ٠٠ مما يقطع بأنه لم يكن مجرد الانعكاس الطبيعي المألوف لصراع المتناقضات في مرحلة محدودة من مراحل التاريخ ٠ فالاسلام قد ظهر ـ من الناحية التاريخية ـ في الفترة التي اصطلح عالميا على تسميتها بعصر العبودية أو مجمع أصحاب العبيد ٠٠ فكان الطبيعي اذن أن تكون تعاليمه ونظمه تعبيرا عن قيم هذا المجتمع ، أو تطلعا الى قيم المرحلة التاريخية التي تعقبه من مراحل تطور المجتمعات ، وهي مرحلة الاقطاع ، أو الراسمالية على أحسن الفروض ٠٠ بينما يكتشف

الباحث في تعاليم الاسلام وشرائعه في غير عناء أن هذه التعاليم وتلك الشرائع ، قد تخطت هذه المراحل وسبقتها جميعا الى حيث القيم التى تجاهد المجتمعات الاشتراكية الحديثة لاقرارها كاساس للعلاقات بين الناس ٠٠ وهى القيم التى ينتهى اليها مطاف البشرية فى سعيها لتحقيق العدل الكامل فى حدوده البشرية المحتمة ، والتى لا يتصورتخطيها الا بالخروج من اسار تلك الحدود ٠٠ وهذا الكمال هو الذى يفسر خلود الاسلام ، ويفسر ما تحقق به للبشرية من كمال الدين وتمام النعمة ، ويحدد علاقة هذه الصورة المكتملة بما سبقها من تقدم احرزته البشرية تحت رعاية السماء من عصر الى عصر ومن نظام الى نظام ، ولذلك جاء الاسلام متمما لحركة الحياة فى سيرها نحو الكمال ومتوجا لها « مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » ٠

وعلى المفكرين الاشتراكيين كذلك ، اذا ارادوا أن يكونوا علميين ، أن يعلموا أنهم – بهذا التصور – يضعون الاسلام فى غير الموضع الذى تضعه فيه الجماهير المؤمنة ٠ فالجماهير لاترى فى الدين قضية من قضايا الفكر أو قضايا التراث ٠٠ وانما كانت ولا تزال ترى فيه قضية حياتها كلها ٠٠ ولاتزال حريصة على أن تنجو به وأن تسعد فى دنياها وآخرتها ٠٠ وكيف ترى فيه قضية من قضايا تراث فات وانقضى ، وهى لا تجد لحياتها الدنيا معنى الا حين تربطها باليوم البعيد الذى عرفت نبأه عن طريق هذا الدين « يوم توفى كل نفس ماكسبت وهم لا يظلمون » ؟ وكيف تاخذ الجماهير دينها هذا المأخذ الهين اليسير ، وهى تعلم أن الأمر جلل وخطير ، و « أنها لجنة أبدا أو لنار أبدا » على ما بشر به وانذر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟

القضية الثانية : أن الاخذ بالاسلوب العلمى فى تطوير المجتمع وعلاج مشاكله لا يقتضى التزام مذهب معين من المذاهب المعروفة ، ولايعنى الانحياز لنموذج بعينه من نماذج العمل لتغيير المجتمع ٠٠ فالعلم فى قضية تغيير المجتمع منهج للعمل وليس نظرية من النظريات ٠٠ واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة قد اختارت الاشتراكية نظاما للحياة الاجتماعية والاقتصادية ، واعتبرتها الحل الحتمى لمشاكل التخلف الاقتصادى والظلم الاجتماعى فيها ٠٠ فان وصف هذه الاشتراكية بالعلمية لايعنى – كما يتوهم بعض الناس وكما يوهم بعضهم – ان هذا الشعب قد ارتضى صورة بعينها من صور الاشتراكية المسماة بالعلمية وهى الصورة الماركسية ٠٠ كما أنه لايعنى بحال من الاحوال أن هذا الشعب قد ارتضى المقررات النظرية الأساسية التى تبنى عليها الماركسية وصف العلمية فى أساسها الفكرى ٠٠ بل انه لا يعنى بالضرورة أن الشعب قد اتخذ موقفا من القضايا التى يثيرها هذا الاساس الفكرى ٠٠ ومن الضرورى أن تؤكد هذه الحقيقة فى خصوص مسالتين من المسائل التى تكون – فى الفكر الماركسى – حجر الاساس فى النظرية العلمية كما يفهمونها :

(أ) **المسالة الاولى** ٠٠ مسالة الفكر والمادة ٠٠ وتحديد أيهما اسبق فى الوجود وأرجح فى التأثير ٠٠ وقد فصلت الماركسية فى هذه القضية لصالح المادة على ما هو معروف (وموقف الماركسية فى ذلك قاطع وواضح ومحقق بما لا موضع معه لتمحل أو اعتذار أو تأويل) ٠٠ أما نحن المؤمنين فلنا من هذه القضية موقف محدد ذو شقين : فان اريد بالفكر فكر الانسان ٠٠ فقد علمنا بطريقى العقل والنقل جميعا أن الانسان طارىء على هذا الوجود ، وان المادة « قد سبقته اليه » وان الانسان نفسه قد خلق من شيء ، هو المادة « فى الأساس » « أم خلقوا من **غير شيء** أم هم الخالقون » هو الذى أنشأكم من الارض واستعمركم فيها » أما ان أريد بالفكر الخلق والتأثير ، وقوة الهيمنة على المادة فى مجموعها بايجادها ابتداء وتقرير مصيرها انتهاء ، وتوجيه حركتها بالسنة والنواميس بين الأزل والأبد فان لنا موقفنا الذى لا نكون مؤمنين الا به ، ولا نطمع فى شيء من الخير الا اذا متنا عليه ، وهو موقف الايمان بالله الذى فطر السماوات والارض ، « هو الأول والآخر والظاهر والباطن » ، « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » ، والقول بأن المادة هى الوجود الفلسفى الحقيقى الوحيد ، وانها السبب الباطنى الأول والآخر ! لكل ما هو موجود ، يعتبر عندنا الحادا شنيعا ، وكفرا مضللا وبداية لا يستقيم عليها بنيان ٠٠ وليس فى حقيقة العلم ما يقتضى ربطه بهذا المذهب العجيب ٠٠ ووضعه موضع التناقض والصدام مع حقيقة الايمان على هذا النحو ٠٠ ووصف هذا المذهب « بالعلم » لا يجوز الا عند اصحابه « فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا ، ذلك

مبلغهم من العلم ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى ٠٠ ولله ما فى السموات وما فى الأرض » ٠

أما حين يراد من قضية المادة والفكر تحديد أرجحها فى توجيه الحياة وتحريك المجتمعات فتلك حينئذ قضية لاخطر فيها ولا خوف منها ٠٠ ولا تثريب فيها على أحد - من وجهة الدين ووجهة العلم على السواء - أن يأخذ برأى أو يميل الى سواه ٠ وانما يرجع الشأن فيها الى تحديد خصائص كل من المادة وفكر الانسان ، وتسجيل تاريخ العلاقات المتبادلة بينهما على مر الازمان ٠٠ واذا كان الفكر الماركسى - فى مجموعه - قد جعل المادة وتطورها وتغير أشكالها وتركيباتها أساس حركة الفكر الانسانى وحركة التاريخ على السواء ٠٠ فان أقوالا عديدة فى ذلك المذهب - منسوبة الى ماركس والى سواه - لاتنى تؤكد دور الفرد وفكره فى التأثير على المادة وتغيير أشكالها والتأثير بذلك فى حركة المجتمعات ٠٠ ولا يغير من وضع القضية على هذا النحو أن ينسب التأثير الى الفرد أو ينسب الى الجماهير ٠

(ب) أما المسألة الاخرى فتتصل « بالغيب » « والغيبيات » ٠٠ ذلك أن المنهج العلمى عند الماركسيين حين ارتبط ، فى غير ضرورة ، بالتفسير المادى المطلق للحياة ، أخذ ينظر الى الايمان بالغيب وما وراء المحسوس على أنه انعكاس طبيعى لجهل الانسان - فى مرحلة معينة من مراحل تطوره - بحقائق الوجود المادى الذى يحيط به ، وعجزه - تبعا لذلك - عن السيطرة على هذا الوجود ، فافترض لذلك قوة عليا تهيمن على هذا الوجود ، وتصور أنه بارضاء تلك القوة وعبادتها يستطيع أن يأمن قوى الطبيعة او أن يكسبها الى جانبه ٠٠ ومن هذه النظرة التى تعتبر - كما يقول لينين - **حجر الزاوية فى موقف الماركسية من الاديان** ، نبت فى الفكر الماركسى عداء أساسى بين العلم « والغيبيات » على أساس أن الايمان بالغيبيات قد كان - من وجهة نظر الانسان - حلا مؤقتا لمعالجة الظواهر التى لم يسيطر عليها الانسان بالعلم ٠٠ وأنه اذا دخل العلم ميدانا من ميادين الحياة كان طبيعيا أن يطرد « الغيب » و « الغيبيات » من هذا الميدان ٠٠ وانكار الغيب على هذا النحو يسقط حتما - وبضربة واحدة - كل التصورات الدينية فى ميدان الطبيعة والانسان على السواء ٠٠ ويجعل الارض تميد كذلك تحت كل الانظمة والشرائع ذات المصدر الدينى ٠

أما نحن المؤمنين بالله ٠٠ فليس هذا مفهوم العلم عندنا ولا مقتضاه ٠٠ فنحن نؤمن بالله وملائكته ، وكتبه ورسله ٠٠ والايمان بالكتاب عندنا نتيجة منطقية للايمان بالغيب ٠٠ وترتيبها على تلك المقدمة أمر يقرره الله تعالى فى مطلع كتابه بعد فاتحة ذلك الكتاب :

« الم ، **ذلك الكتاب لا ريب فيه** ، هدى للمتقين الذين **يؤمنون بالغيب** » ٠

ومعنى هذا أن الايمان بالغيب عندنا لا يعارض منهج العلم ، وأن العلم فى مفهومنا لا يصادم هذا الايمان ٠ وأساس مذهبنا فى العلم أن له طريقين : طريق العقل وطريق النقل ٠٠ وعلماؤنا يعرفون التوافق الرائع بين ماجاء عن طريق العقل وما وصل عن طريق النقل ٠٠ ويتاح لهم من المعرفة مالا يتاح لغيرهم حين يربطون حياة الانسان على هذه الارض بحياة أخرى فى الدار الآخرة يعرفون نبأها كما يعرفون - بعقولهم - نبأ هذه الحياة « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا » ٠

« له بقية »

د ٠ احمد كمال ابو المجد

أصول عربية للاشتراكية الحديثة

بقلم: محمد الغزالي

جرى في نفسي هذا التساؤل : لو كان ملوك فرنسا وروسيا احنى على الجماهير وارفق بالضعفاء وأدنى الى العدالة وأرضى لله ·
أكانت الثورات العاتية تثل عروشهم وتقض مضاجعهم ؟

ان جنوح هؤلاء الحكام الى العسف والفوضى اعقب آثاره المتفاوتة فكان رد الفعل مزيجا من الخير والشر والقسوة والرحمة · بل كان مزيجا من الكفر والايمان · فان الثائرين ـ الا من عصم ربك ـ مندفعون بمشاعر فيها من الغيظ المحبوس أضعاف ما فيها من احقاق الحق وابطال الباطل ·

لكن عبث الحكام وقع في بلاد كثيرة · ومع ذلك فان رد الفعل لم يقترن بتلك الأحقاد الجامحة خصوصا في اقطار العروبة والاسلام · فما السر في هذا المسلك ؟

والجواب فيما نرى يرجع الى طبيعة الأمة العربية وتعاليم الاسلام الحنيف ·

فان شبكة التقاليد التى تنسجها الطبيعتان في أرجاء المجتمع تحمى الأمة من الهزات الحانقة وتحصن كيانها من المبادىء المتطرفة والنزعات الكفور ·

ولأمر ما لم تندلع في تاريخنا الطويل ثورة حمراء قط · ولن يقع ذلك ابدا

لا لشىء الا لأن الثروة الغزيرة من المشاعر الحانية والسير الزاكية التى احتضنت ولا تزال تحتضن امتنا تحول دون هذا العوج ·

في الجاهلية الأولى للعرب كان الناس اكثر تعاونا واظهر تراحما من روسيا القيصرية وفرنسا الملكية·

ربما هلك الفرد في زمهرير الشتاء هنالك دون أن يجد قوام حياته من غذاء ودفء ، أما العرب في مجتمعهم القبلى فهم يوقدون النار في القمم والنجود لارشاد العافين واستقدام الأضياف · ولسان حالهم ما يقوله حاتم لغلامه :

اوقد فان الليل ليل قر
والريح يا غلام ريح صر
على نارك من يمر
ان جلبت ضيفا فانت حر

والواقع ان العرب أبعد عن الروح الفردية الجافة التى سادت بلادا أخرى وأقامت علاقاتها على الكزازة والانطواء ·

وتأمل كيف تمنى عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي الضخم ان يكون ابنا لعروة بن الورد الملقب بعروة الصعاليك !

ولماذا ؟ لأبيات قالها عروة تشرح البناء النفسى لهذا الأعرابى الكبير القلب جاء فيها :

أتهزأ منى ان سمنت وأن بدا
بوجهى شحوب الحق والحق جاهد

فانى امرؤ عافى انائى شركة
وانت امرؤ عافى انائك واحد

اقسم جسمى فى جسوم كثيرة
واغلوا قراح الماء والماء بارد

فالشركة التى وردت على لسان عروة او الاشتراكية التي عاشت على لسان أهل العصر تعنى أن المرء لا يعيش وحده · ولا يجعل نفسه محور نشاطه وخموله ورضاه وغضبه ·

فهناك غيره من الصحب والاخوة والغرباء والطارئين

هناك عالم رحب وراء دائرة الاثرة الكنود • عالم تتعلق به الهمم الكبيرة والنفوس الطيبة وترتبط كرامتها ومكانتها بالرسوخ فيه •

ومراسم النبل التي يخطها هؤلاء الرجال هي التي جعلت حاتما يسدي هذا النصح :

اذا كنت ربا للقلوص فلا تدع
رفيقك يمشي خلفها غير راكب
انخهـا فاردفها فان حملتكما
فذاك وان كان العقاب فعاقب

والمجتمع الذي يخلط فقيره بغنيه في وجبات الطعام وأدوات النقل لا يتصور أن تقطعه الثورات الحاقدة ولا أن تمزق ما أمر الله به أن يوصل •

فلما جاء الاسلام ترعرعت في جوه السمح هذه المعاني العظيمة • لقد سحق جراثيم الأثرة سحقا • واشعر كل مؤمن بانه شريك في الحياة مع غيره فما خلقت الدنيا له وحده وما تصلح به وحده يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه : « من كان له فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » •

قال راوي الحديث فذكر أصنافا من المال حتى راينا أن لا حق لأحد منا في فضل •

فلما بنى أول مجتمع اسلامي في المدينة سنحت الفرصة العملية لتحقيق هذه القاعدة • فكانت الأخوة المتكافلة في السراء والضراء • المتقاسمة للخير والشر المتساوية في نيل الفرص أو الحرمان منهـا : هي الدعامة المكينة التي قامت عليها هذه الأمة في أنقى عصورها •

ولقد أراد النبي الغزو مرة فقال : « يا معشر المهاجرين والأنصار ان من اخوانكم من ليس له مال ولا عشيرة • فليضم أحدكم اليه الرجلين والثلاثة »

قال جابر بن عبد الله – راوي الحديث – فضممت الى اثنين أو ثلاثة وما الا عقبة كعقبة أحدهم من جملي ••

وكان الرسول يقول : « من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث • ومن كان عنده طعام ثلاثة فليذهب برابع • بخامس »

ولم يكن هذا الترغيب في استنقاذ الناس من براثن الجوع والفاقة نافلة هينة بل كان الأمر متصلا بالايمان وصلب الدين •

ومن ثم قال الرسول : « ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع الى جانبه وهو يعلم » •

كما روى أن رجلا جاء الى النبي وقال له : اكسني يا رسول الله • فأعرض عنه – لعدم استطاعته – فعاد الرجل يقول : اكسني يا رسول •

فقال له : أمالك جار له فضل ثوبين ؟

قال : بلى غير واحد !

قال : فلا يجمع الله بينك وبينه في الجنة » •

واصحاب الفضول الذين يبخلون بها ويترفون فيها لا يسالهم الدين ولا يترفق في معاملتهم •

فان الفساد الذي يثيرونه في المجتمع غليظ وحماية الشعوب منه واجبة • والا ضاع الدين نفسه في حريق مطامعهم •

فلا عجب اذا سمى الاسلام هؤلاء شياطين •

واعتبر بيوتهم التي يسكنونها بيوت الشياطين •

ومراكبهم التي يمتطونها مراكب الشياطين • فعن ابي هريرة قال : قال النبي صلوات الله وسلامه عليه :

« تكون ابل للشياطين وبيوت للشياطين •

فاما ابل الشياطين فقد رايتهـا يخرج أحدكم بنجيبات معه قد أسمنها فلا يعلو بعيرا منها • ويمر باخيه قد انقطع فلا يحمله •

واما بيوت الشياطين فلا أراها الا هذه الأقفاص التي تستر الناس بالديباج » •

ومن الواضح أن بيوت الشياطين هذه هي التي هدمها الثوار الفرنسيون عندما انطلقوا يبحثون عن حقوق الانسان ويهدمون معاقل الظلم ويتخلصون من ضوائق الكبت والحرمان •

وهي كذلك البيوت التي هدمها الروس الحمر لما أعنتهم تفاوت الطبقات وامضهم الترف المضاعف في ناحية والبؤس المضاعف في ناحية أخرى •

وقد تكون هذه الثورات الدامية قد اقترنت بقليل أو كثير من الاغراق والشطط •

ولكن هذه طبيعة الحياة قلما يتمحض فيهـا الخير والشر •

وعندما يكون الفعل منكرا يكون رد الفعل أشد نكرا :

والاسلام يصنع شيئا كثيرا حين يشعر كل مسلم ان الناس في حق الحياة سواء وأن الغبن والافتيات لا تصح بهما دنيا ولا يصلح عليهما دين •

فهل هذا الاشعار غاية خلقية يكتفي الاسلام في غرسها بالوعظ والارشاد ؟

كلا . ان هناك ركائز اجتماعية واقتصادية مهمة أقامها الاسلام سياجا حول روح الجماعة حتى لاتضعف أمام وساوس الأثرة الطاغية .

ولنتحدث عن مثال لمنهج الاسلام في هذه السبيل الأرض التى نحيا فوقها مرفق كبير لبنى آدم جعله الله لهم مهادا ويسر لهم التقلب فيه والانتفاع به

« ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش »

ومن أفحش الظلم فى نظر الاسلام أن يجور امرؤ فى امتلاك شبر من هذه الأرض قال عليه الصلاة والسلام : « من غصب شبرا من أرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » ، وهذا وعيد حق ويخيل الى ان الوفا من الناس ستحشر يوم القيامة وهى تحمل أتربة زنة الجبال لأن تملك الأرض من غير طريق مشروع خطيئة شائعة .

ولو تياسر الناس فى استغلال الأرض المزروعة لاستراحوا من عنت كبير .

لقد صح أن رسول الله قال : « من كانت له أرض فليزرعها أو ليمنحها أخاه فان أبى فليمسك أرضه »

وعن مجاهد قال : « لا يصلح من الزرع الا أرض تملك رقبتها أو أرض يمنحكها رجل » .

وقد فهم ابن حزم من هذا ما فهمه رجال من السلف أن كراء الأرض حرام وأن الانسان يزرع فقط ما يطيق ويدع الباقى لغيره يزرعه وينتفع به دون أجر مقابل .

ويرى فقهاء آخرون أن المنع من اجارة الأرض كان فى صدر الاسلام للتوسعة على الفقراء ثم أبيح التأجير لما صلحت أحوال المجتمع الاسلامى .

وأيا ماكان الأمر فان التشريع بالحظر والاباحة استهدف منفعة الجماعة واشاعة خير الله بين عباده وكبح بواعث الجشع من التحكم والانطلاق .

والدولة ـ فى نطاق الاسلام وحده ـ تستطيع تنظيم أوضاعها الاقتصادية دون أن تقرأ سطرا من مذهب اقتصادى أجنبى فما أغنى الاسلام بمبادىء الايثار والتراحم والعدل

على أن هناك ما يجب التنبيه اليه قبل هذا كله وهو أن الاسلام دين يغرس تقوى الله فى الأفئدة وأن الشرائع المالية المختلفة جزء مسبوق وملحوق بشرائع اليقين والخلق ومراسم العبادة وأنواع الأمر والنهى .

والحق أن الافكار الاقتصادية الشائعة فى العالم تعتمد على أنظار فلسفية مختلفة القيمة العلمية .

والبرامج اليسرية ثمرة لنظرة مادية ملحدة تقترن بها دائما وقلما تنفك عنها الا زعما .

وكذلك البرامج الرأسمالية فانها ثمرة مغالاة فى تقرير مبدأ الحرية الانسانية للفرد .

ومعنى ذلك أن الحياة العامة للأمم ليست تشكيلات مالية خالصة أو ارساء للعلاقة بين الاستهلاك والانتاج على نحو من الأنحاء . كلا . ان الأمم تصطبغ ظاهرا وباطنا بأفكار لها خطورتها النفسية والاجتماعية .

ومن ثم أبينا أن نتصور الاسلام نزعة اشتراكية وحسب .

انه دين للنفس والمجتمع والدولة .وشعب الايمان الكثيرة تنتشر فى كيان أمته انتشار العروق والأوعية الدموية فى أى كائن حى .

وهنا يتادى بنا الكلام عن حوافز العمل وحوافز العمل هى الأساس الأول لغزارة الانتاج أو ضآلته ولفشل الأمم أو نجاحها .

ومعروف أن الاسلام أقر مبدأ الملكية وهو محق فى ذلك كل الحق . فالضمان اعظم لكثرة الانتاج وجودته واستقامة الأعمال وضبطها جعلها فى حضانة فرد حريص مسئول يرى كرامته الشخصية وسعادته الخاصة فى نجاحها ونمائها لكن اقرار مبدأ الملكية لا يسوغ أن يكون ذريعة لاضاعة الصالح العام ولا لجعل طوائف كثيفة من الناس تحت وصاية فرد واسع الثراء يستطيع بجاهه المتاجرة فى ضمائرهم ومصايرهم .

من أجل ذلك يمكن أن توضع قيود شتى على هذا المبدأ بحيث تبقى الحوافز للعمل قائمة وتبقى معها حقوق الجماهير المادية والأدبية مصونة .

والمتأمل فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده يرى بسهولة أن الاسلام منهج فريد فى التنظيم الاجتماعى الواعى يمكن أن يوصف بأنه اشتراكية معتدلة أو مسلك وسط بين أقصى اليسار وأقصى اليمين ان صح التعبير .

« محمد الغزالى »

الطريق إلى قصة اشتراكية

للدكتور: أحمد كمال زكى

كتبت مرة عن القصة القصيرة على هذه الصفحات ، وارجو ان يسمح لى مرة ثانية أن أكتب من جديد . لا عن النوع الادبى وحده وفى الحدود التى بينتها ، وانما عن الجنس كله – أى الفن القصصى بعامة – ومن زاوية اخرى تمس اكثر ماتمس المضمون .

ولقد كثر الكلام فى هذه الايام عن الدور الذى لعبه أو يجب ان يلعبه القاصون فى حركتنا الاشتراكية التى غيرت ملامح مجتمعنا العربى ، وتريد أن تضع ابناءه فى المستوى الذى يصون لهم آدميتهم ويحفظ حقهم فى حياة حرة رفيعة . الا ان احدا لم يستطع – للاسف الشديد – ان يقول القولة التى ترضى الحقيقة او التى تحسم الامر برأى يمكن الاطمئنان اليه والوثوق به . وفى رأيى أن هذا راجع الى سبب خطير ، هو طبيعة الدور الذى يجب ان يؤديه الاديب فى الحياة .

أيكون الاديب داعية ومبشرا أم هو مجرد راصد لوقائع تجرى أمام ناظريه ؟ : هل تقتصر مهمة الاديب الحقيقى على أن يتغنى بتلك الحلول التى يسبقه اليها المصلحون من رجال المجتمع والسياسيون ومن يجرى فى فلكهم ؟

ان الاجابة عن هذا السؤال تلقى ضوءا كافيا على ماتريد ، وتوضح فى الوقت نفسه مهمة القاص الذى اصبح عليه ان يعترف بان اعماله فى جوهرها ليست الا وثيقة احتجاج ، ومن ثم تبعد كل البعد عن ان تكون محض حكاية يقصد بها الامتاع او الاعلام أو ازجاء الفراغ .

واذ نقول ذلك لا نصادر اولا فى مهمة القاص ، ثم لا نريد من ورائه أن نفرض رأيا يلتزم به كل فنان . ولكن القول تكرر مئات المرات فى هذه القضية ، وظهر بما لا يدع اى مجال للشك أن الاديب لا يعيش متعزلا عن الحياة ولا ينطوى على نفسه فى برج عاجى ، بل هو فى بعض الاحيان يبدو مستشرفا الى اشياء لم تخطر على بال احد وتثير عليه نفرا ربما يتهمونه بالصبا او بالخروج على الاجماع مع انه لا يريد سوى الافضل لمجتمعه ، فى شكل يوطوبيا أو مدينة فاضلة .

ولكن يحدث فى الاحيان الاخرى أن يتم فجاة اكثر مما كان يطمح اليه الاديب . بل قد لا تصبح يوطوبياه فى هذه الحال اكثر من بداية الى شىء أكثر اراعة واكثر ايجابية . ولهذا يحتاج الى زمن طويل شيئا ليستيقظ او ليتمكن من أن يتمثل تماما ماسبق اليه . وفى الوقت الذى يتم فيه التلاقى يبدأ فى ارتياد الآفاق الجديدة التى وجد نفسه يعيش فيها . ثم تغلبه روحه الناقدة فيتولى المناقشة ويعود الى الجدل فالاحتجاج ، وهكذا تدور الدائرة .

ومع ذلك فقد ينبغى أن نقدم ايضاحين : الاول اننى لا اتحدث الا عن الاديب الكبير ، وهو الذى يصدر عن فلسفة وموقف خاص ، والثانى ان هذا الاديب يكون أحيانا صانعا للكثير من الثورات الفكرية والاجتماعية ، فاذا وجد نفسه متخلفا عن الركب فى حالات تشبه حالة ثورتنا الاشتراكية التى نعيشها ، فانه يتعين عليه أن يمر أولا بمرحلة الارتياد ، ويكون فيها متوجسا قلقا محاولا أن يزيل ما امام عينيه من غشاوة .

انه لا يزال يستكنه ، فاذا انبرى من يتعجل الطبيعة – من حيث ان الاديب يحتاج الى مدة طويلة ليتمثل الطارىء وينقده – كان هذا الانتاج الذى يموت لحظة ميلاده . وهذا يفسر لنا سر اندثار كثير من الاعمال الادبية التى تخرج فى اثناء اشتعال الثورات وفى أعقابها مباشرة ، ويفسر لنا بالتالى معنى أصالة الاديب وصدقه .

وفى مجال الاستشهاد ـ ولا سيما فى القصة موضوع حديثنا ـ نقول ان ثمة من ناقش حياة مجتمع ما قبل ثورة عام ١٩٥٢ ونقده ايضا، وظهرت اعمال قصصية تحمل هذا الطابع فى حين اولت اعمال أخرى تأويلا استهدف به الاشادة بأصحابها لسبب أو لآخر ، وكانت النتيجة ان اصبحنا نمتلك بغتة انتاجا خاض مشكلات الاشتراكية مع اننا لم نمارسها ـ من حيث هى فكرة وروح ونظام ـ الا منذ قليل !

ماذا اقول ؟ بل بلغ الامر ببعض القاصين انفسهم ان زعموا انهم قاموا فعلا بما قام به ادباء الاتحاد السوفيتى ، وقد نسوا من ناحية ان تطبيق الآراء الموضوعة خارج بلادنا يطمس قوميتنا او يخنقها ، ومن ناحية أخرى ان هؤلاء الادباء الذين ارهصوا للثورة ماتوا كابطال واكثر من كتب بوقا لها يعانى سكرات الموت فى زوايا الاهمال والانكار !

ومادمنا استطردنا هذا الاستطراد فاننا نحيل الى مقال نشر فى مجلة « الادب السوفيتى » التى صدرت فى يونيو سنة ١٩٦٤ وفيه يقرر « فيتالى أوزيروف » ان القصص الحقيقى لم يكن له وجود ايام ستالين ، مع ان المبادىء الاشتراكية كانت تمارس على نطاق واسع ، وقد لاحظ ان اعمال الفنان السوفيتى الاخيرة تفيض بغنى لم تعرفه من قبل .

والواقع كما نراه نحن ان ادباء الاتحاد السوفيتى منذ بدىء فى تحويل روسيا الى جمهورية اشتراكية وفصلها عن النظام الراسمالى لم يكونوا مخلصين مع أنفسهم ، وانما جرفتهم حماسة النظام الجديد وأسرتهم شخصية لينين بصفة خاصة فلم يتأنوا حتى يقع التفاعل الأكيد بالبناء الذى أصبحت فيه كل وسائل الانتاج ملكا للمجتمع

كانوا فى واد ورجال النظام الجديد فى واد آخر ، وعندما جاء ستالين بايديولوجية عبادة الفرد طباوا له فكان تعبيرهم فى حقيقته معوقا للفهم الاشتراكى من حيث كونه مضمونا فنيا ناجما عن فلسفة عميقة · والى هذا فطن « أوزيروف » ، فاعترف صراحة بأن « عبادة الفرد أيام ستالين كانت تقيد مبادىء الاشتراكية وتمنع تطورها » ولهذا فهو يرى ان قصص مابعد ستالين أكثر حياة واكثر تمشيا مع روح المجتمع ، اعنى اكثر تعبيرا عن آلامه وآماله !

واذا كان يرجو ان نغفر أخطاء هؤلاء القاصين فى عرض شخوصهم التى لا تصور الخصائص الروحية للانسان الجديد ، فانه يريد منا أن نمجد هؤلاء الذين رفضوا أن يستجيبوا للشعارات ويقدموا الانتاج الذى يستخدم للاستهلاك المحلى .

ومع ذلك فقد ظهر تماما أن المخلصين ضاعوا فى غمار الهتافين ، ولم يعد من السهل علينا ان نقبل على اكبر قصاصى الاتحاد السوفيتى اليوم ، بل نحن لا نزال وراء جوجول وتورجنيف وتولستوى ودوستويفسكى على الرغم من اننا قد نضحك لتكنيكهم الذى يشجبه اصحاب القصة الضد الذين سنقدم لهم بعض نماذج مدروسة فى عدد قادم ·

وعندما قدم لنا باسترناك « دكتور زيفاجو » احسسنا أنها شىء آخر غير ما يقدمه « يورى تريفونوف » فى روايته « الظما الخامد » وما يقدمه نيحولاى تشوكوفسكى فى « حياة فتاة صغيرة » . ولعله من اجل ذلك ولما فى روايته من شاعرية وملحمية غنائية ـ اذا صح هذا ـ هوجم من قبل الحاكمين مع ان تلك الرواية اظفرته بجائزة نوبل التى اجبر على رفضها خصاما للمجتمع الرأسمالى الذى يقدمها .

واذن فليس عيبا الا يظهر بسرعة القاص الاشتراكى وان يتخلف قاصونا فى مجال التعبير عن اشتراكيتنا ، لان هذه تتطور بسرعة تفوق سرعة تمثل الاديب لها . ان الاتجاه نحو الهدف المادى لا يكون بحاجة الى قوى روحية كبيرة ، فى حين أن الهدف الفنى يبدو ابعد ما يكون عن الطاقات الانسانية ما لم تتسلح باكثر القوى الروحية قدرة على تذوق التجارب وتعمقها وتحديد أبعادها الجمالية .

فى ضوء هذه المسلمة نسال : هل يعنى ذلك ان قاصينا لم يعيشوا ثورتنا الاشتراكية ومن ثم افتقدنا القاص الاشتراكى المنشود ؟

ولكى نجيب عن ذلك السؤال يجب ان نضع امامنا أولا مفهوم اشتراكيتنا فى اطارها الانسانى والقومى وفى شكلها المادى الروحى وفى انكارها الشديد لكل النزعات الفاشية . هذا المفهوم الذى طالما اشاد به الرئيس جمال عبد الناصر فى خطبه ، وطالب بتطبيقه ، وحث على أن يجعل به كل فرد منا مشاركا فى أدوات الانتاج ووسائله وفيما يغله فيفيد به .

لقد اصبحت الارض ومواردها وما عليهـــا من مصـــانع وانشـــاءات ملكا للشعب ، ولأفراد هذا الشعب حقوق متساوية على أساس ان لهم ذواتهم التى يجب الا تسحق باسم الملكية العامة .

وادب يصدر عن هذا الفهم يجب أن يتعمق اسبابه اولا ، اى يجب أن يرتاد مجالاته فى محاولات للفهم والتذوق ، ويقف فى ثبات أمام المقدرات الرجعية التى تريد باسم الموروث احيانا وباسم الفن والانسانية أحيانا أخرى وباسماء أخرى ان تاخذ من كل هذه شيئا او أشياء ، وترتدى مسوح الوجودية أو اللامعقول أو ما يجرى هذا المجرى .

والآن ماذا عن القاصين أنفسهم ؟

اخشى ان اقول ان بعضهم لم يعش هذه الثورة فنيا فعلا ، ولا يزال يصدر عن الانتاج الذى عرفته مصر ماقبل الثورة . وثمة بعض راح يندد بالاقطاع ويصرخ كمـا صرخ الادباء الستالينيون بلا موقف نابع عن معاناة أصيلة ، فكانت النتيجة اعمالا تبعد عن الفلسفة الاشتراكية حتى وان كانت تنديدا بالطبقية مثلا أو تمجيدا للانتصارات التى ظفر بها اقتصادنا الموجه .

وفى الوقت نفســـه نقـرا عن المعلم ابراهيم «الحمش» صاحب المقهى الذى تخدعه ابنته من وراء « الشبابيك المغلقة » ونقرأ عن الحاج رضوان تاجر العطارة الذى يتزوج نجوى الشابة الصغيرة مع أنه جاوز الستين ، ونقـرأ عن الموظف الذى لا يملك ثمن الدواء لابنه المريض فيسرق ويسجن وينكره الجميع حتى ابنه ، كمانقرأ عن الفلاحة التى يغتصبها ابن صاحب العزبة أو صاحب العزبة نفسه ــ وهو صورة طبق الاصل للباشا الاقطاعى القديم طبعا ــ ثم تطرد لتعيش مصيرها الرهيب ، وهكذا

انى لا احدد اسماء بعينها لقاصين باعينهم ، فهم غالبيــة تعيش بيننا ، وتجر خلفها فئة من الناشئة تجد راحة فى أن تجتر شبقياتها واحلام يقظتها باسلوب ركيك وتكنيك أكثر ركاكة ، بينما اختفت فئة أخرى زعمت ذات يوم انها من المنادين بالاشتراكية الواقعية او الاشتراكية الثورية ــ لست أدرى تماما ــ أو الواقعية الجديدة .

ولا أجد حرجا فى ان اسرد اسماء بعض هذه الفئة الاخيرة لأن صحابها فى نظرى يمكن ان يحملوا عبء الفهم الاشتراكى كموقف له ابعاده الروحية والمادية جميعا ، وهم يوسف ادريس وعبد الرحمن فهمى وعبد الرحمن الشرقاوى ومحمود السعدنى ، ومن بعد هؤلاء جيل أكثر شبابا ، اذكر منه فاروق منيب وأبو المعاطى أبو النجا وحافظ رجب ، على أن يجدوا طريقهم الذى ضاع منهـم فى رحلة البحث عن بر الأمان .

انى لا احصر وانما اسجل مااسعفنى به الذاكرة ، وهذه الذاكرة نفسها تحاول الا تنسى لرواد العظام الذين تحول بعضهم الى مناقشة القضايا الانسانية الكبيرة كنهاية لكل ماسجلوه فى أعمالهم الرائعة .

ولكن هل الطريق قصير امام هؤلاء ؟

لا املك الاجابة الآن ، ولكنى أضع امامهم ــ بعد تحديدى لمفهوم اشتراكيتنا العربية ــ هذه المشكلات التى خلفتها متناقضات المرحلة السابقة وقد سماها الرئيس ناصر بمرحلة الانتقال أو مرحلة التحول من سيطرة الرجعية التى ساندها الاستعمار . ولقد صاحب التحول قيام علاقات من نوع جديد تقتضى بالضرورة طرح السلبية جانبا مع المواجهة الثورية على أسس ديموقراطية مفهومة .

ولما كان اتساع طبقة العمال يكون فى حد ذاته وضعا هو نتيجة طبيعية للتحول الاشتراكى فان من الضرورى أن تقدم مخططات ثقافية عمالية تلعب دورها الخطير فى وجدان المجتمع كله وتذلل الصعاب امام جيل يريد أن يقود الثورة فى مجالاتها الاقتصادية والفكرية ، ويرى آماله فى ضرب من الانتاج يطرح كل عوامل الفساد والتهاون والشك والانحراف .

وربما كان من الضرورى هنا أن نؤكد أن التجربة الاشتراكية ــ بعد هذا أو قبل هذا ــ فى حاجة الى قاعدة وطيدة تمارس السلوك الاشتراكى فى صدق وايجابية مخلصة . وفى هــذا السلوك تتبلور كل المعانى الثورية لتطـور صراع الانسان وكفاحه وحرصه على أن يحقق لنفسه كل ماينشد من عدل وحرية وامان . ومن الطبيعى الا يكون ثمة سبيل الى هذا كله الا باستقرار الوجدان الاشتراكى متسلحا بالعلم ومهيئا كل الظروف ليظهر من بأنس فى نفسه القدرة على التفوق فى مجال العمل .

البقية على صفحة ٣٤

أنا

من روائع الشعر الأسبانى



أنا من أولئكم الذين وفدوا الى وطنى من بعيـد
أنا من الجنس العربى ، صديق الشمس من قديم.
أنا من أولئكم الذين ملكوا كل شيء ، وأضاعوا
كل شيء !
روحى زهرة ندية منبثقة من عرب الاندلس
عزيمتى ماتت فى ليلة قمراء
لا يحلو فيها تفكير ولا حب
مناى ··· غفوة بلا شوق
ومن حين الى حين ··· قبلة وطيف امرأة !

***

روحى ، أخت المسـاء ، مرفرفة لا تعرف القيد
والوردة الرمزية لسورتى اليتيمة
هى الزهرة التى تنمو فى أراض مجهولة
عارية من العطر والشكل واللون

***

قبلات ، لكن لا امنحها ··· مجد لى به مدينون
وليات الى كل شيء هادئا كالنسيم
أمواج تحملنى بعيدا ، وأخرى تعود بى من جديد
لكن أحدا لن يرغمنى على اختيار الطريق ·

***

طموح ·· ليس عندى ، حب ··· ما شعرت به
لم أنصهر قط فى نار الثقة أو عرفان الجميل
ولع مبهم بالفن كان عندى ، ولكنى فقدته
لا الرذيلة تغرينى ، ولا الفضيلة أعبدها
حسبى العريق لا يرتاب فيه أحد قط
والشمم والشرف انما يورثان · ولا يأتيان من
كسب !

عَرَبي

للشاعر الأسباني
منويل متشادو ١٨٧٤ - ١٩٤٧
ترجمة عن النص الأسباني الدكتور الطاهر أحمد مكي



لكن عراقة حسبي ، وحكمة شعار بيتي
ليستا الا غمامة صيف ، ما تلبث أن تذيبها الشمس !

***

لا أسالكم شيئا ... لا أحبكم ... لا أكرهكم
دعوني أعمل من أجلكم ... وحسبكم أن تعملوا من أجلي
فلتجهد الحياة نفسها لقتلي
اما أنا ، فلن أجهد نفسي لكي أعيش الحياة

***

عزيمتي ماتت في ليلة قمراء
لا يحلو فيها تفكير ولا حب
ومن حين الى حين ... قبلة مقتعة
القبلة السخية التي لا مطمع وراءها !

***

كان منويل متشادو قد كتب هـذه القصيدة في باريس عام ١٨٩٩ ، وهو في ريعان شبابه وزهوة صباه ، يرد المباهج طلقا ، فلما تقدمت به السن ، وخبر الايام وخبرته ، استجمع تجاربه في أبيات قليلة اضافها الى هذه القصيدة عام ١٩٢٢ م.

ها قد اختار القلب الغليان طريقه ...
لم تعد تزعزعه العواصف ، ولم يعد يتراجع أمام الموج
لا المغامرة تثيره ، ولا القدر يرهبه
انه الآن يعرف كيف يحب ... ويحب ما استطاع
لقد نبذ المستحيل ، وحياة لا تعرف العشق الالهي !

بقية المنشور على صفحة ٣١

ومن المؤكد ان الادب الاصيل ليس هو الذى يقف عند هذا السلوك فيكتفى بأن يشيد به فى ميادينه بالمصنع أو فى الحقل او حيث يبنى السد او فيما يكفل اتساع رقعة الانتاج باسلوب تقريرى جامد ، وانما الادب الاصيل هو الذى يتحمل صاحبه مسئولية الفهم ليعبر عن القضية بالصورة التى لا تناقض موقفه .

ومادام الفكر النظرى لا يعمق الا من خلال التمرس الواعى ، فان ميدان التعبير الادبى لايتسع ولا يعمق الا بعد أن تنتهى حالة الارتياد التى ألمعنا اليها ، فيصل الاديب الى تلك المرحلة التى يصبح فيها النظام الجديد جزءا من تكوينه الوجودى . تماما كالعين التى يرى بها ، وكالقلب الذى ينظم له حركة الدم فى عروقه ، وكاليد التى تتحرك تلقائيا ما اراد ان يسير أو يكتب او يصافح احدا .

ان القاص الاشتراكى هو الذى يتفهم تلك المشكلات ، ولكن غيرها فى شتى المستويات كثير ، وكلها بلا أدنى شك تضاعف من صعوبة المهمة الملقاة على عاتقه ، فاذا كنا لا نملك أن نجيب عن آخر سؤال طرحناه أمام القارىء ، فلاننا لا نملك حقيقة ان نتنبأ ، وكل مانستطيع ان نقرره هو ان الطريق صعب على اى حال .

وبعد ...

فانى لست متشائما ، واحس ان القاص الاشتراكى فى السبيل الينا ، أما متى ، فعلم ذلك عند الله وعند القاصين انفسهم كل بحسب استعداده وذكائه ودرجة وعيه .

« د. احمد كمال زكى »

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: علي أحمد باكثير

ابو الديوك مدير مسرح النهضة وبلعوم مدير الجمعية الاستهلاكية حاولا بكل الوسائل طرد ابى حنفى المكوجى من مسكنه فى الربع ليستوليا على الحوش ويتخذاه حديقة لهما ولكن ابا حنفى دافع بثبات عن مورد رزقه الوحيد وهو الحوش الذى يتخذه منشرا لغسيله ، وتعطف عليه محسنة زوجة ابى الديوك التى تنكر على زوجها اندماجه فى شلة ذات نشاط فى رايها غير مشروع ، وتقام حفلة فى بيت ابى الديوك حضرها بعض اعضاء شلته فيهم الدكتور نجم الدين المعروف بميوله الشعوبية وصلصل عميد الشلة والشاعر العراقى نهاوند ومبرغنى المخرج وزيد المؤلف وعمرو الناقد ونادر المحتفل بتكريمه ويلقى الشاعر نهاوند قصيدة فى التهنئة فتكون مثار تعليق من الدكتور نجم الذى شرح لهم ان تحطيم الشعر العمودى بالشعر التفعيل ليس هو الهدف ولا تحطيم الشعر التفعيل بشعر النبر ولا حتى استعمال العامية مكان الفصحى فما هذه الا خطوات نحو الهدف اما الهدف ذاته فهو التخلص من العربية والعروبة والرجوع الى الفرعونية فى مصر والبابلية فى العراق والفينيقية فى سوريا ولبنان والبربرية فى شمال افريقيا .

ويدعى الحاضرون الى البوفيه فينسحبون عن البراندا الى الداخل ويخلو المسرح لعصام وزينات فيدور بينهما حديث عن حبهما وعن امالهما فى المستقبل وانهما يريدان بناء حياة افضل من حياة اهليهما .

الفصل الأول

(تنسحب زينات ويبتعد عصام عن مكانه الاول)

سعدية :(تدخل) ماذا تصنع هنا وحدك يا عصام ؟

عصام :لا شيء يا خالتى سعدية الجو هنا أحسن

سعدية :(تنظر ناحية برندتها) سمعت انك متسافر الى الخارج ؟ صحيح ياعصام !

عصام :لم يتقرر بعد بصفة أكيدة

سعدية :ليكن فى علمك اننا لن نتركك !

عصام :الزواج يا خالتى سعدية قسمة ونصيب ! (يخرج)

(يدخل بلعوم)

بلعوم :ماذا كان يقول لك عصام ؟

سعدية :يبدو انه لا يكترث لقول احد (تخفض صوتها) أقول لك دعه يذهب عنا سنجد لها عريسا الوجه منه ومن أسرة أغنى وأرقى

(تدخل محسنة)

محسنة لماذا خرجتم يا جماعة ؟

بلعوم :الدنيا حر

محسنة :ألا أخذتم طباقكم معكم ؟

بلعوم :هل يجوز لنا ذلك يامحسنة هانم ؟

محسنة : لم لا ؟ سادخل للجماعة واقترح عليهم ذلك عن اذنكم (تخرج)

سعدية : ارايت ؟ تريد ان تؤكد للناس أنهم ياكلون ويشربون الآن على حساب زوجها وليس على حساب جاره المغفل !

بلعوم : مغفل ؟ أنا مغفل ؟! أنت يا سعدية المغفلة ! اتدرين كم ثمن المسرحية ! اربعمائة جنيه ؟

سعدية : أو قد قبلوها منك بصفة قاطعة ؟

بلعوم : صه ، انظري، الجماعة آتون الينا ومعهم طباقهم، هيا بنا ناخذ طباقنا معنا (يخرجان)

(يدخل نجم وتهاوند ثم يدخل الباقون وفي يد كل واحد منهم طبق وكاس فيجلس بعضهم ويبقى بعضهم واقفين)

نجم (كأنه في حديث متصل مع نهاوند) أجل اخترتها أولا لأنها ملحدة وثانيا لأنها تدرس الفيلولوجيا (يلتفت الى زوجته) ليليان دارلنج اقتربي قليلا لتشتركي معنا في الحديث

ليليان : (تقترب منهما) أنا سامعة

نهاوند : اخترتها لأنها ملحدة هذا مفهوم يادكتور ، لكن حكاية الفيلولوجيا ما أهميتها ؟

نجم : ما أهميتها ؟! هذه أهم من الالحاد بكثير

نهاوند : كيف ؟

نجم : الالحاد أثره ذاتي خاص ولكن الفيلولوجيا اثرها موضوعي عام !

نهاوند : هل لك أن توضح قليلا يادكتور ؟

نجم : انها تقوم ببحث مؤيد بالأدلة والبراهين العلمية لتثبت ان اللغة العربية لغة متخلفة ولا تصلح لأمة تريد أن تأخذ مكانها في صفوف الأمم المتقدمة

نهاوند : عظيم عظيم ! حقا ان هذا لأمر عظيم ! ومتى يتم هذا البحث ؟

نجم : البحث قد تم ولكنه لم ينشر بعد

نهاوند : ومتى ينشر ؟

نجم : انها قد ارسلت الكتاب الى لندن ليطبع هناك

نهاوند : باللغة الانجليزية طبعا ؟

نجم : طبعا

نهاوند : ينبغي يادكتور أن تترجمه ليطلع العرب عليه

نجم : صدقت هذا الكتاب يجب أن يقرأه العرب ليعرفوا حقيقة لغتهم وليجدوا مخرجا منها

نهاوند : وكم قضيت في هذا البحث يامدام ؟

ليليان : حوالي سبع سنين

نهاوند : سبع سنين ، لابد انها رسالة هائلة !

نجم : قنبلة هيدروجينية !

نهاوند : هل لك يامدام أن تلخصي لنا رأيك في اللغة العربية ؟

ليليان : آسفة يا أستاذ لا أستطيع

نهاوند : لماذا ؟

ليليان : في وسع الدكتور أن يخبرك

نجم : انك لن تصدقني ان اخبرتك ، انها لاترضى أن يطلع على نتيجة بحثها أحد

نهاوند : لكني أنا صديق مأمون الجانب

نجم : حتى أنا زوجها المقيم معها تحت سقف واحد لم تشأ ان تطلعني على ذلك ؟

نهاوند : هذا عجيب حقا ، لكن لماذا ؟

نجم : لو اخبرتك لماذا لوجدته أعجب واغرب

نهاوند : كيف ؟

نجم : لأنها فيما تقول تخشى ان اغضب أنا لكرامة امتي (يقهقه ضاحكا) تصور أنا أغضب لكرمة اللغة العربية !!

نهاوند : أحقا يامدام ؟ ان الدكتور لن يطربه شيء في الدنيا كما يطربه أن تمرغي اللغة العربية في التراب !

نجم : قل لها ياأخي قل لها !

ليليان : اني لا أحب أن يتدخل أحد في بحثي أو يوجهني بخير أو بشر

نهاوند : لكن البحث يعتبر الآن منتهيا يامدام

ليليان : كلا ياأستاذ لا يعتبر منتهيا الا بعد ماينشر بالفعل

نهاوند : ولو بصفة عامة يا مدام ، نريد أن نعرف رأيك بصفة عامة

ليليان : لا أستطيع ياأستاذ

نجم : لا تخافي يا ليليان ، ان الاستاذ نهاوند يعدل هؤلاء الجماعة كلهم في جهاده ، انه مجاهد طول عمره

نهاوند : العفو يادكتور ، انت استاذ الجميع ، انت معلم هذا الجيل الصاعد !

نجم : آه لو سمعك الاستاذ صلصل !!

نهاوند : الاستاذ صلصل .. ماله يا دكتور ؟

نجم : أنه يغار مني ! استرق النظر اليه .. لاتدعه

يشعر أنني لفت نظرك اليه .. ستراه يتلصص علينا من بعيد

نهاوند : (يسترق النظر الى صلصل) انه يبتسم يادكتور!

نجم : هو هكذا طول عمره . الابتسامة لازقة بشفتيه

نهاوند : يظهر أنه رجل بشوش

نجم : لكن حذار فتحت هذه الابتسامة الدواهي . انظر اليه كرة اخرى . تأمل قليلا في وجهه فسترى هذه الابتسامة تنتشر من وجهه كما تنتشر أطراف الأخطبوط وهو يتهيأ للوثوب على فريسة شهية !

نهاوند : يخيل الى يادكتور انك تبالغ قليلا في كلامك لأن ابتسامته هذه تذكرني بابتسامة الجوكوندا !

نجم : الجوكوندا ! مضبوط ! هكذا كان احساسي حين رأيته أول مرة وظللت أرى ابتسامة الجوكوندا في وجهه حتى كرهتها بعد ما كنت أحبها : كنت أعلق الصورة عندي في البيت فنزلتها !

نهاوند : (يضحك) نكتة والله !

نجم : كلا .. ليست نكتة . هذه حقيقة !

نهاوند : والصورة يا دكتور ماذنبها ؟

نجم : ذنبها ان صاحبنا استطاع أن يقلدها ويعلقها على شفتيه !

نهاوند : والأخطبوط الذي أشرت اليه ؟

نجم : المدة .. لمدة ما كنت أتخلص من الجوكوندا حتى حل محلها الاخطبوط !

نهاوند : وماذا أنت صانع به ؟

نجم : لا ادرى . ياليتني استطيع أن أقتل الاخطبوطات كلها التي في العالم !

(يتركز الضوء على صلصل وحوله نادر وزيد وعمرو)

صلصل : أترونه ؟ لابد أنه الآن يبرق في عرضي . هذا دأبه وخصوصا حين يجلس الى شخص غريب لا يعرف عنا شيئا

نادر : وما يدفعه الى ذلك ؟

صلصل : يكرهني ويمقتني لأني أكتب برامج خاصة عن اعلام العرب

نادر : أهذا الذي يغيظه منك ؟ أو لا يعلم انك انما تجارى فيه التيار العام ؟

صلصل : يعلم يعلم ولكن الذي يغيظه مني انني أكسب من تلك البرامج وهو لا يكسب شيئا

نادر : انى اذكر يا أستاذ صلصل قبل سفرى الى ألمانيا أن هذا الرجل ليس من جماعتنا . فما الذي خلطه بكم ؟

صلصل : انه كتب ذات مرة مقالات أعجبتنا جدا .. كتبها طبعا لحساب غيرنا ولكنها تخدم الهدف الذي نسعى اليه فاجتمعنا وقررنا بالاجماع أن نسعى لضمه الينا لنستخدمه في تحقيق أغراضنا .

نادر : ألا تخشون منه على أسراركم ؟

صلصل : انا حتى اليوم لا نطلعه على أسرارنا الكبرى .

نادر : وماذا استفدتم من ضمه اليكم ؟

صلصل : اذا أردنا أن نثير قضية دون أن توجه الينا الأنظار دفعناه هو فأثارها من دوننا وبذلك نتقى كثيرا من الأخطار . انتظر حتى أكشفه لك (مناديا) يا دكتور نجم !

نجم : نعم يا أستاذ صلصل . ماذا تريد ؟

صلصل : هل تعرف ما أحسن عمل عملته في حياتك ؟

نجم : هيه ؟

صلصل : انك تزوجت هذه السيدة .. السيدة ليليان ! . انها حقا هدية !

نجم : هدية ؟

صلصل : معلوم .. أحسن هدية أهديتها الى الأمة العربية!

نجم : (يزوم قليلا ثم يقول في حقد) مثل سلة التين التي جيء بها الى كليوباترا داخلها حية رقطاء !

صلصل : لكني اخشى يادكتور أن تصنع مثلك فيما بعد

نجم : ماذا تعني ؟

صلصل : أن تتراجع هي كما تراجعت أنت .

نجم : كلا لا تخف عليها انها أثبت مني وأرسخ !

صلصل : وأنت ما الذي غيرك ؟

نجم : ماذا أصنع ؟ كتبت باللغة العامية برهة فوجدتها لا تحل المشكلة لأنها ناقصة ولأنها تدنو شيئا فشيئا من اللغة المقدسة فتركتها وكتبت مثل ما يكتب الناس .

صلصل : والحل في رأيك هو الهيروغليفي ؟

نجم : نعم . هذا هو الحل الصحيح .

صلصل : انك حاولت قديما أن تتعلمه لتكتب به ؟

نجم : نعم وقطعت شوطا فيه

صلصل : لماذا انقطعت عن هذه المحاولة ولم تكملها ؟

نجم : منذا يقرأ لي لو كتبت بالهيروغليفي ؟ علماء المصرولوجيا ؟

صلصل : ما كنا نظن يادكتور انك ستيأس بهذه السرعة..

الا ترى الى اسرائيل ماذا فعلت ؟ لقد أحيت اللغة العبرية بعد ما كانت ميتة

نجـــم : لكن مهمتنـــا أكبر وأعسر من مهمة اسرائيـل ، مهمتها احياء لغة ميتة ٠ اما مهمتنا فمزدوجة : احياء لغة ميتة واماتة لغة حية !

صلعـــل : هذا لا يدعونا أبدا الى اليأس ٠ لا تنس يادكتور ان شـــعبنا اذا وجد القيـــادة الحكيمة يقوم بالمعجزات !!

نجـــم : الامر حلو يا استاذ صلعصل ولكن دون عمل ! كل يوم تقذفنا ببرامجك الخاصة عن ابن خـــلدون وابن بطوطة وابن رشد وابن طباطبا وابن لا أدرى من من اصنام العرب !

صلعـــل : وأى بأس فى ذلك ؟ اليس لنا ان نجارى الاتجاه العام ؟

نجـــم : ملوم يا أخى ٠٠ اكسب لك انت قرشين وارمنى أنا فى البـــلاوى الزرق ! تريد أن تعيش انت بالعربى وأتخبط أنا بالهيروغليفى !!

صلعـــل : قسما بالـ ٠٠ لا توجد عندنا للوح بيضاء ٠٠ قســـما بالرمال الصفراء التى تحيط بوادينـــا الاخضر لو كان عندى أنا الاستعداد الكبير الذى عندك لكانت عندى الآن مؤلفات عديدة باللغـــة الهيروغليفية !

نجـــم : ومنذا الذى يقرؤها ؟

صلعـــل : ليس هذا بالمهم ٠ المهم ان يؤدى احدنا الواجب الذى عليه ٠

نهـــاوند : والله لقد لمحتم فى اليوم قوة جديدة وحيـــاة جديدة ٠ انى حين اغادر بلادكم سأقوم بدعاية فى البلاد العربية بالشعر تارة وبالنثر تارة أخـــرى لهذه القضية ، قضية اللغة حتى يهتموا باحياء لغاتهم الاصلية لغات أجدادهم العظام !

صلعـــل : سمعت يا دكتور ؟ رأيت الهمم القعساء ؟

نجـــم : انا مسرور منك يا أستاذ نهاوند واعاهدك ان نجحت فى مسعاك أن ادرس الهيروغليفى من جديد لأكتب به ولا أكتب الا به ٠

نهـــاوند : يدك يادكتور ! (يشد على يده بحرارة)

(يتركز الضوء على سعدية وأبى الديوك وبلعوم)

ســـعدية : الى متى يأكلون ويشربون ؟ الا يبتون اولا فى أمر مسرحيتنا ؟ أم كل ما صرفناه على الحفلة يروح على فالشوش ؟

بلعـــوم : صه ياسعدية لا يسمعك احد

ابو الديوك : يادكتور نجم ويا أستاذ صلعصل وياجماعة جميعا، أراكم خضتم اليوم فى كل شيء ونسيتم المسرح !

صلعـــل : صحيح ٠ لولا المسرح ماكنا ذقنا هـــذه الحاجات الحلوة

نجـــم : الاستاذ ابو الديوك يستطيع ان يقول لنا لماذا تأخر افتتاح الموسم الجديد هذا العام وما الذى سنشاهده فى الموسم الجديد ؟

ابو الديوك : الواقع ان الافتتاح تأخر لأننا لم نستطع ان نستقر على رأى بعد فى المسرحية التى نفتتح بها الموسم ٠

صلعـــل : عجبا ! أين كتابنا الملاكى وأين مسرحياتهم ؟

ابو الديوك : كتابنا الملاكى لم يقدموا لنا شيئا بعد ٠

صلعـــل : ولا مسرحية واحدة ؟

ابو الديوك : ولا مسرحية واحدة ؟

نهـــاوند : معذرة يا اخوان ما معنى الكتاب الملاكى ؟

صلعـــل : نقصد بذلك كتابنا الذين هم من ديوكنا والمحجوز لمسرحياتهم مكان فى المسرح كل سنة ٠

نهـــاوند : ولماذا لم يقدموا شيئا حتى اليوم ؟

صلعـــل : لعلهم تكاسلوا لاتكال كل واحد منهم على أن مكان مسرحيته محجوز فهو يقدمها وقتما شاء ٠

عمـــرو : ما دام الامر هكذا فخذوا مسرحية من احد كتاب الأجرة ٠

زيـــد : كلا ٠٠ لا ينبغى ان نخل بمبدئنا والا عرضنـــاه للخطر ٠

عمـــرو : وتعطيل الموسم الجديد اليس له اعتبار عندك ؟

صلعصل : فى رأيى ان الموسم لا يصح أن يؤجـــل لأى سبب ، فانظروا الا توجد عندكم ولو مسرحيـــة قديمة ؟

ابو الديوك : توجد لدينا تلك المسرحية التى وافقت عليهـــا اللجنة من السنة الماضية ٠

نـــادر : ولماذا لم تقدموها السنة الماضية ؟

ابو الديوك : لأن المؤلفين الملاكى قدموا مسرحياتهم فكانوا أول

نادر : الآن فقدموها هذه السنة واجعلوها رواية الافتتاح

ابو الديوك : هل تحرى عن هذا المؤلف أحد منكم ؟

زيـــد : نعم أنا تحريت عنه

ابو الديوك : ماذا وجدت ؟

زيـــد : سمعت اناسا يقولون انهم سمعوه ذات يوم يقول ان موت الاستاذ العقاد خسارة كبيرة!

صلصل : هذا رجعي ولا يمكن أن نقبله

عمرو : لكني أنا تحريت عنه فعرفت انه كان يأكل كل يوم في رمضان من دكان الفول الذي في مصر شارع سليمان .

زيد : تقصد انه افطر في شهر رمضان ، وأي شيء في ذلك ؟

عمرو : هذا يدل على انه غير متعصب .

زيد : لا هذا غير صحيح فكم من رجل لا يصلي ولا يصوم وتجده مع ذلك يتعصب للاسلام أكثر من شيخ الاسلام نفسه . وكثير يصلون ويصومون ولا أثر لهم ولا نشعر لهم بوجود .

صلصل : دعونا الآن من هذه المسرحية . الا توجد عندكم مسرحية أخرى ؟

ابو الديوك : ما عندنا غير المسرحية التي قدمها زميلنا الاستاذ عبد الواسع بلعوم

زيد : (محتدا في حدة) يا ناس ! مالمدير التموين وكتابة المسرحيات ؟

عمرو :
وابوالديوك : وما المانع ؟

زيد : غدا يكتبها الجزارون والنجارون ومساحو الاحذية !

ابو الديوك : وما المانع ؟ نحن في عهد الاشتراكية والمساواة بين الناس

زيد : وهل معنى الاشتراكية عندك أن يكون الناس جميعا كتاب مسرحيات ؟

صلصل : أليس هذا خيرا من أن تبقى انت وحدك الكاتب اللوذعي ؟

زيد : وهل بقيت أنا وحدي الآن ؟ لقد اصبح عندنا خمسة او ستة !

صلصل : وما المانع ؟ أليسوا جميعا من ديوكنا ؟

زيد : أوكل ديك من حقه أن يؤلف مسرحية ؟

صلصل : وما المانع ان كان يقدر ؟ المسرح في أيدينا اليوم ومن يدري لعله ينتقل غدا الى يد لا تأذن لديك واحد أن يؤذن على المسرح

زيد : هذا مصدر خوفي . اذا كنتم تقبلون المسرحيات من كل من هب ودب فستلفتون نظر الجمهور اليكم وتثيرون سخطه عليكم فيكون ذلك سببا لخروج المسرح من أيديكم .

بلعوم : من كل من هب ودب ؟ أنا أحتج على هذه الكلمة

سعدية : من كل من هب ودب . عيب يا افندي أن تقول هذا عن زوجي . ان الفرخة التي أكلتها لا تزال تقوقئ في بطنك !

زيد : ليس قصدي يا مدام .. أنا قصدي ..

سعدية : ليس قصدي .. أنا قصدي .. ما هذا اللغو ؟ قل بصريح العبارة انك تخشى من بلعوم أن يبلعك !

زيد : ولماذا يبلعني هل أنا تموين !

ابو الديوك : (كأنه يتدخل لحسم الأمر) اسمع يا زيد . ان كنت تظن لنفسك شيئا كبيرا فأنت مخطئ . تقول مدير تموين ، فخبرني ماذا كنت أنت حين أخرجنا لك مسرحيتك الأولى ؟ اعرف اذن قدر نفسك . استرزق ودع غيرك يسترزق مثلك !

زيد : انا لم اقصد ان اطعن فيه . كل ما اردت قوله ان مسرحيته هذه لا ينبغي أن يفتتح بها الموسم.

ابو الديوك : بأي شيء نفتتح اذن ؟ بمسرحيتك ؟

زيد : نعم .

ابو الديوك : وأين هي ؟ ألم تقل انها لا تزال رؤيا في دماغك ؟

زيد : أجل . اني أعيش في نشوتها هذه الايام

ابو الديوك : لكن علينا أن نضع بروجرام الموسم من اليوم

زيد : ضعوا مسرحيتي في البروجرام

ابو الديوك : مكان مسرحيتك محجوز لكل سنة ولكنا لانستطيع أن نجعلها الاولى في البروجرام ؟

زيد : ماذا يمنع ؟

ابو الديوك : الا يجوز أن تطير الرؤيا كلها من دماغك ؟

زيد : كلا أطمئن فاني قد سجلتها

ابو الديوك : سجلتها وهي رؤيا في دماغك !؟

زيد : نعم

ابو الديوك : كيف ؟

زيد : بواسطة الأشعة . كلفت أحد رجالها فصور لي دماغي !

ابو الديوك : أتمزح يازيد ؟

زيد : كلا أفي مثل هذه الامور مزاح ؟ من حسن الحظ اني جئت بها اليوم معي انظر (يخرج صورة اشعة من بين ثيابه)

ابو الديوك : (ينظر في الصورة) أنا لا أدري فيها شيئا . انظروا ياجماعة هل ترون فيها شيئا ؟

(يتداولها الحاضرون)

الجماعة : أبدا .. لانرى فيها شيئا

زيد : وأى شيء كنتم تريدون أن تروه ؟

الجماعة : الرؤيا التي في دماغك

زيد : أنا أبصرها

الجماعة : مابالنا نحن لا نبصرها ؟

زيد : لا يمكن أن يبصرها الا مؤلف مثلي

سعدية : (تخطف الصورة وتدنيها من زوجها) انظر يا عبد الواسع . أترى الرؤيا التي يحكى عنها ؟

بلعوم : لا لا أرى شيئا .

سعدية : ما هو ذا مؤلف يا أستاذ زيد !

زيد : يا مدام ليس كل من ألف . أني قلت مثلي أعني في مستواي

سعدية : زوجي والله سيطلع خيرا منك

زيد : (في تعال) خير مني لا يفيد .

سعدية : لم لا يفيد ؟

زيد : لأن الذي هو أحسن مني يا مدام لم يوجد بعد !

سعدية : ما هذا يا جماعة ، كيف تسكتون لهذا المتطاول ؟

زيد : يا مدام التموين شيء والفن شيء آخر ، التموين في جمعية زوجك ولكن الفن في دماغي أنا .

عمرو : مهلا مهلا لقد تجاوزت حدك ، لعلك قد غرك نجاح مسرحيتك في السنة الماضية

زيد : لم يكتب مثلها أحد ولا في أوروبا وأمريكا .

عمرو : رويدك رويدك فالفضل في نجاحها يرجع الى غيرك .

زيد : لمن غيري ؟

عمرو : الا تعرف لمن ؟ لي انا .. للمقالات الأربع التي نشرتها تباعا ورفعتك فيها الى السماء وجعلت اسمك يدوي كالطبل !

زيد : تلك المقالات التي لم يقرأها أحد ؟

عمرو : لو صح ما تقول لما اشتهرت أنت . اربع مقالات في جريدة يومية وبقلم أكبر ناقد في البلد !

زيد : أكبر ناقد ؟ طز ! وما قيمة الناقد الى المؤلف ؟ الناقد كما هو معلوم ما هو الا امرؤ أراد ان يكون مؤلفا ففشل .

عمرو : أهذا جزائي اذ شهرتك ؟

زيد : انت شهرتني ؟

عمرو : بل خلقتك .

صلصل : (ينهرهما) صه .. لقد تجاوزتما كل حد

عمرو : الم تسمعه كيف جحد فضلي بالكلية ؟

صلصل : يا أستاذ عمرو أو تظن أن مقالاتك الأربع هي التي أقامت تلك الضجة لمسرحية الأستاذ زيد ؟

عمرو : أجل يا أستاذ صلصل مافي ذلك شك

صلصل : هذا غرور منك أكبر من غرور الأستاذ زيد . ان الفضل لا يرجع الى عازف منفرد بل للأوركسترا كلها .. الأوركسترا التابعة لنا اذ قلنا لها اعزفي فانطلقت تعزف الحان التمجيد في كل مكان .

عمرو : انه لا يعترف بأى فضل لأحد

صلصل : ذلك هو الخطر ياجماعة . الخطر ان تنسوا ان قوتنا تكمن في كوننا جماعة متحدة الهدف والخطة وان أحدنا لا قيمة له الا بجماعته . أنت يا أستاذ زيد مثلا ماقيمتك من دوننا ؟ ان خارج الدائرة لمؤلفين لا تعد أنت بجانبهم شيئا ولكنا منعناهم من الظهور ليتاح لك ولأصحابك من الديوك ان تظهروا وحدكم في الميدان . عليكم أن تتذكروا هذه الحقيقة دائما حتى لا يتعالى بعضكم على بعض ! والآن دعونا نرجع الى حكاية المسرحية التي قدمها الاستاذ بلعوم .

سعدية : يسلم فمك يا أبا الصلاصيل .

نجم : بلغني أن أحد أعضاء لجنة القراءة رفضها

زيد : نعم وظل يرفضها حتى عدلوها له مرارا كثيرة

سعدية : وما اسم هذا العضو ؟

ابو الديوك : لا داعي لذكر اسمه

عصام : واحد من ديوكنا ؟

ابو الديوك : لا ليس منهم

بلعوم : لا حق لك : اعضاء لجنة القراءة يجب أن يكونوا جميعا من ديوكنا . أليس كذلك يا أستاذ صلصل ؟

صلصل : صحيح . لكن ربما يكون للأستاذ أبي الديوك وجهة نظر في ذلك

ابو الديوك : نعم . ليس من مصلحتنا أن نجعلهم جميعا من الديوك والا انكشفت خطتنا ، يجب أن نجعل فيهم من غير الديوك لذر الرماد في الأعين

صلصل : ارأيتم كيف تكون السياسة ؟!

ابو الديوك : تلك سياستنا أيضا مع المؤلفين ، لا بد أن نضع مع مؤلفينا الديكيين مؤلفا لا ديكيا واحدا كل سنة حتى لا يستطيع أحد أن يفتح علينا فمه !

صلصل : سمعتم يا جماعة ؟

نجم : ارجعوا بنا الى مسرحية الأستاذ بلعوم . ماذا تصنعون فيها بعد ما رفضها عضو اللجنة ؟

على أحمد باكثير

لماذا ليست ماركسية ؟ ...

بقلم : محمد جلال كشك

« احنا اشتراكيتنا هى اشتراكية علمية .. قايمة على العلم وليست قايمة على الفوضى .. مهياش أبدا اشتراكية مادية ما قلناش ان احنا اشتراكيتنا مادية .. وما قلناش ان احنا اشتراكيتنا ماركسية » .

جمال عبد الناصر

بهذه الكلمات الواضحة والصادقة ، كما عودنا دائما قائد الثورة ومعلم الشعب .. حسم هذا النقاش الذى كان يدور حول معنى « الاشتراكية العلمية » التى وردت فى الميثاق .. وقد سميت الماركسية بالاشتراكية العلمية ، تمييزا لها عن الاشتراكيات المعاصرة التى كان عليه ، أى ماركس، أن يصارع ضدها ، وأن يصرعها، تلك الاشتراكيات التى كان ماركس يعاديها ، لأنها تزعم أن النظم الاجتماعية تدين فى وجودها لعبقرية الفيلسوف الذى يكتشف الحل الخالد للمشكلة الأزلية ، بينما نادى ماركس بأن الظروف الموضوعية هى التى تخلق الحل المرحلى للمشكلة الاجتماعية المرحلية ، وما للفيلسوف من دور ، الا فهم هذه الضرورة التاريخية وصياغتها فى شكل حلول ومطالب سياسية .. ولكن الماركسية ، أو بمعنى أصح ورثة ماركس ، وقعوا فى خطأ يتنافى مع العلم ، عندما زعموا أنهم هم وحدهم الذين أوتوا العلم .. فلا اشتراكية الا الاشتراكية العلمية ، ولا علم الا ما قال به ماركس، وعلمه للحواريين ثم التابعين .. مع ان العلم لايمكن أن يحتويه حزب أو تنفرد به حركة أو جماعة بعينها .. بل هو يحتوى الحركات والاحزاب أو يلفظها .

والعلمية..قضية نسبية ، فقد كانت الرأسمالية فى مرحلة من التاريخ هى العلمية .. وحتى الدعوة الاشتراكية كانت فى هذا الوقت ضربا من الخيال والتفكير غير العلمى ، بل ان بعض اتجاهاتها كانت رجعية .. ولكن التاريخ يتحرك ، وتصبح الرأسمالية نظاما غير علمى ، وتصبح الاشتراكية هى الدعوة العلمية .

ومأساة كل حركة سياسية أنها تتوهم الخلود ، وانها قد وصلت للحل الخالد ، وجاءت بالاجابة الشافية لكل سؤال ، ورغم سخرية ماركس وانجلز من هذا الزعم ، فقد سقطت فيه الماركسية الى حد نقلها الى مرتبة الغيبيات ، وكان الرفاق يقولون ان الشيوعى الصادق فى بكين يستطيع على هدى الماركسية أن يصل الى حل مشكلة بعينها ، يطابق تماما ما يصل اليه الشيوعى الصادق فى طنجة .. حذوك النعل بالنعل ! بل تأمل تعبير «مراجع» الذى يعد أخطر تهمة توجه لماركسى ، أى أنه يراجع الماركسية لينقحها ويصوبها .. وهى تهمة تساوى الكفر .. ان هذا التعبير ينبعث من ايمان دينى .. اذ ما الضير فى مراجعة نظام سياسى أو نظرية من صنع البشر ؟

يقول لينين : « ان عبقرية ماركس تكمن بالتحديد فى أنه قدم الردود على الأسئلة التى شغلت أذهان البشرية.. ان العقيدة الماركسية عقيدة جامعة مانعة لأنها صحيحة .. انها كاملة ومتجانسة وتزودالناس بمفهوم كامل عن العالم » .

وكل النظريات خلعت على نفسها هذه الصفات ٠٠ ومع التجوز الشديد نستطيع أن نقبل القول بان ماركس قدم مفهوما كاملا عن أوربا الغربية فى منتصف القرن التاسع عشر ٠٠ ولكن من المستحيل أن نقول انه فسر العالم كله لا فى عصره فحسب ٠٠ بل بعد مائة عام من وفاته ٠٠ مائة عام فيها السيارة والطائرة والغواصة الذرية وسفن الفضاء والتليفزيون والراديو ٠٠ واستعمار أفريقيا وتحررها ٠٠ واستقلال الهند وسقوط روسيا المقدسة وقيام الاتحاد السوفيتى والصين الشعبية وظهور عالم عدم الانحياز ٠

لقد كان لينين يستدل من اكتشاف الراديوم على ثبوت صحة الماركسية ، ولكن اكتشاف الراديوم الآن يشبه اكتشاف الحديد بالنسبة لعصر ماركس!

غير علمى أن نقول ان نظريات وتفسيرات ماركس فى منتصف القرن التاسع عشر هى العلم وحده لمن أراد أن يبنى مجتمعه فى النصف الثانى من القرن العشرين ٠٠ ومن الحماس المؤثر حقا ، القول بجواز الاختلاف فى التطبيق بشرط التسليم بصحة الأسس الخالدة للماركسية ٠٠ اذ ما هى الأسس وما هى التطبيقات ؟ ٠٠

ان ماركس كان ثمرة الحضارة الغربية ، ولينين فى تعريفه بالماركسية الذى كتبه لدائرة المعارف البريطانية ، قال انها ثمرة الفلسفة الألمانية والاشتراكية الفرنسية والاقتصاد السياسى البريطانى ٠٠ أى بنت الحضارة الغربية فى قمة نموها ٠٠

ومأساة الحضارة الغربية ، التى اصابت الماركسيين ، هى توهمها أنها هى كل الدنيا ، مشاكلها هى مشاكل البشر ، وحلولها هى الدواء الناجع الصالح للتصدير لكل مكان ٠٠ تاريخ البشرية هو تاريخ الحضارة الأوروبية ٠٠ يبدأ بالاغريق الى أن يصل الى العصور الحديثة ، أى عصورهم ٠٠ علمهم بالشىء اكتشاف له ٠٠ فامريكا والهند وافريقيا كلها لم تكن موجودة ٠٠ قبل أن يصل اليها الأفاقون فيكتشفوها ! ٠٠ ومن ثم تصبح ملكا لهم ! ٠٠

لذلك فالقول بأن تحليل واقع المجتمع الرأسمالى فى أوروبا الغربية منذ مائة عام يغنى عن تحليل بقية العالم ولو بعد مائة عام ٠٠ أو حتى القول بان مبادىء هذا التحليل وأسسه هى مفتاح كل الاجتهادات ولو فى افريقيا أو الصين ٠٠ هذا القول ينافى العلم ٠٠

صحيح ان تحليل أشعة الراديوم فى باريس لا يختلف كثيرا عن تحليله فى الكونغو ٠٠ ولكن الماركسية كان لها الفضل فى نقد المادية البدائية التى زعمت أن البشر والمجتمع يخضعان لقوانين المادة وعلم الطبيعة ٠٠ قد يتشابه الحديد فى أوروبا وافريقيا ٠٠ ولكن الناس يختلفون ٠٠ وقد يغلى الماء فى درجة المائة تقريبا فى كل من آسيا وأوروبا ٠٠ ولكن الثورات لا تنفجر لأسباب واحدة ، ولا عند درجة متقاربة ٠٠ لأن هذا التباين هو طبيعة البشر وسر اختلاف الحضارات ٠٠ وقد أمكن « توحيد » المعايير والمقاييس فى الصناعة ولكن يستحيل أن تتوحد فى الحضارات والفلسفات والأديان والنظم الاجتماعية ٠٠ لأنه لم تخترع بعد الماكينة التى يدخل فيها الناس فيخرجون متشابهين فى العواطف والميول والآراء ٠

من هنا كانت الفرضية التى زعمت حتمية انتماء كل اشتراكية الى الماركسية ٠٠ والا تنافت مع العلم فرضية خاطئة ٠٠ بل متنافية مع العلم ٠

واذا كان حل متناقضات المجتمع الروسى ، أو الصينى ، مع الالتزام بالماركسية ولو من ناحية الانتماء الروحى ، قد احتاج لعبقرية فذة ٠٠ هى عبقرية لينين وماوتسى تونج ٠٠ فان هذه المهمة كانت مستحيلة فى مجتمع اسلامى ٠٠ لأن حضارتنا أكبر من الحضارة الغربية ، وتختلف جذريا معها ٠

خذ مثلا الملكية الفردية أو علاقة الفرد بالدولة ٠٠

لقد أفنى الاشتراكيون الغربيون عمرهم فى الاقناع بضرورة تملك المجتمع لمصادر الثروة ٠٠ بينما هذه القضية بديهية فى المجتمع الاسلامى ٠٠ حتى أن الدول البترولية العربية لم تثر فيها مشكلة على الاطلاق حول من يملك الحصة العربية فى البترول ٠٠ بل كانت منذ اللحظة الأولى للدولة ٠٠ بصرف النظر عن طبيعة الدولة أو أوجه استفادتها من هذه الملكية ٠٠ ان اقناعنا بالملكية الفردية كان المهمة الأصعب منذ القرن التاسع عشر بينما كان تملك الدولة هو السلوك الطبيعى المقبول عندنا ٠٠

وقد وضعت الدواوين فى الدولة الاسلامية لأول

مرة فى عهد عمر رضى الله عنه لا لقيد الضرائب على المواطنين ٠٠ بالعكس ، بل لتسجيل العطاء اى المرتبات التى التزمت بها الدولة ازاء جميع رعاياها منذ لحظة مولدهم ! وقبل أن يولد ماركس بثلاثة عشر قرنا ٠٠ بينما لا يزال يدور نقاش حاد حول اعانات العاطلين فى أوروبا وامريكا ٠٠ ومنافاة ذلك لأسس الحضارة الغربية ، وروح المجتمع الامريكى « العظيم » ٠٠ الخ ٠٠

لذا فان البساطة التى تتم بها الاجراءات الاشتراكية عندنا تثير دهشة وريبة العقلية الغربية، والعقليات المتأثرة بالعقلية الغربية ٠٠ فما تكاد دولة عربية تتحرر من النفوذ الغربى حتى ترى ان الاشتراكية قضية بديهية ٠٠ الاشتراكية أعلنت فى الجزائر حتى قبل ان يتم جلاء قوات الاحتلال ، بمجرد قيام سلطة عربية مسلمة ٠٠ والقوائم التى كانت تنشر فى الصحف المصرية معلنة انتقال ملكية الراسمالية الى الدولة كانت تدير رءوس المتأثرين بالغرب ٠٠ كيف يمكن أن يحدث ذلك ٠٠ بلا حزب شيوعى ٠٠ بلا دماء وصراع ٠٠ ماذا ستفعل الرجعية؟ أين مقاومة المجتمع القديم ٠٠ وماذا تفعل الرجعية وقضيتها خاسرة بل لا قضية لها على الاطلاق ٠٠ فان حكاية تحكم الفرد فى أقوات وأرزاق الآخرين دخيلة على روحنا ، غريبة على حضارتنا ، زوالها هو الأقرب للمعقول لا دوامها ٠٠ وفى بعض البلدان العربية التى لم يطل عهدها بالاستعمار الغربى ، ولم يعشش فيها كما فعل فى مصر والجزائر ٠٠ تصبح مشكلتها بعد التحرر هى التفتيش عن شىء يستحق التأميم ، ولقد حاول البعث فى سوريا أن يتفادى الاشتراكية نكاية فى الناصرية ٠٠ ثم اضطر فى النهاية الى التسليم بانه لا وجود للمجتمع العربى المستقل متنافيا مع الاشتراكية ٠

لهذا لم تكن اشتراكيتنا ماركسية ، ولا حاجة بها الى أن تنتسب لنظرية غربية ، ونسبها العربى اشرف ، واصولها الاسلامية أعز وأكرم ٠٠

ولو ان الجهد الذى بذل فى التلفيق بين انجازات الناصرية الرائعة وبين مخلفات الماركسية ٠٠ قد بذل فى اكتشاف جذور اشتراكيتنا العربية الاسلامية ٠٠ لكنا قد قدمنا للبشرية كشفا رائعا٠٠ على اية حال هذه مهمة لابد أن تجد رجالها ٠٠ الا أن ما نبحثه هنا هو الخطأ الذى تردى فيه الذين حاولوا أن يدخلوا اشتراكيتنا فى قمقم الماركسية ، فتحطم القمقم فى أيديهم ٠٠ فكانوا كاليهود الذين كفروا بالاسلام لأنه لا يجوز أن يرسل الله نبيا الا من بنى اسرائيل ٠٠ فخسروا الدنيا والآخرة ٠٠

ولنبدأ من ديكتاتورية البروليتاريا ٠٠

لقد واجه ماركس مجتمعا يشكل العمال والراسمالية فيه القوتين الرئيسيتين ٠٠ وهو صائر كما تنبأ ماركس خطأ، الى الاستقطاب عليهما وحدهما ٠٠ ولأن الاشتراكية تعنى زوال الراسمالية ، فهى نظرية الطبقة العاملة ، وعندما عدل لينين فى هذا التصور ، لأنه رأى أن تحول الموجيك الروسى الى بروليتارى ٠٠ عملية قد تستغرق عدة قرون ٠٠ فدعا الى محالفته فى الثورة ، الا أنه احتفظ بقيادة الطبقة العاملة ٠٠ ولما كانت فى روسيا اقلية ، فقد بشر بديكتاتورية البروليتاريا ، ودعاها الى فرض ديكتاتوريتها على باقى الطبقات ، وأن تتولى هى تصفية هذه الطبقات ، مساعدة للتاريخ على انجاز مهمته بالشرطة والسجون والمشانق ٠٠

وبعد المؤتمر العشرين ، وانتشار روح التسامح بين الشيوعيين صدرت فتوى تبيح التحلل من ديكتاتورية البروليتاريا ، فانتقلت من دائرة الفرض الى السنة المستحبة ٠٠ ومع ذلك مازالت الماركسية مصرة على أولوية الطبقة العاملة ، وكل الذى حدث أن الطبقات الأخرى انتقلت من مرتبة المشركين الذين لا يقبل منهم الا السيف الى دائرة المؤلفة قلوبهم أو اهل الذمة ٠٠

ولكن الاشتراكية العربية رفضت ديكتاتورية البروليتاريا ، لا استنادا الى هذا القرار المسكونى٠٠ بل لأسباب موضوعية وتاريخية ٠٠ فالاشتراكية العربية تؤمن أن الاشتراكية قضية قومية ، قضية تعنى كل الطبقات الشعبية ٠٠ العمال والفلاحين والمثقفين والقوات المسلحة بل الراسمالية الوطنية ٠٠ ومن المؤكد أن حماس هذه الفئات يتفاوت ازاء القوانين والاجراءات الاشتراكية ، بل حتى فى نطاق الطبقة الواحدة تتفاوت المواقف وفقا للأوضاع والمصالح والأفكار والارتباطات ٠٠ ولكننا لا نذهب الى القول بان الصواب دائما فى جانب العمال والانحرافات تختص بها الطبقات الأخرى ، ولانربط ربطا ميتافيزيقيا بين الملكية والخطأ ٠٠ وهذا الربط هو المسئول عن السياسة اللاانسانية التى تعرض لها الفلاحون فى ظل ديكتاتورية البروليتاريا ، لأنها

اعتبرت الفلاحين أوسع الطبقات ارتباطا بالملكية الفردية ، ومن ثم فهم العقبة الكبرى في طريق التحول الاشتراكي الكامل ٠

بينما ترى الاشتراكية العربية أن الفلاح الفقير الذى ملكته الثورة الاشتراكية هو قاعدة النظام الاشتراكى ٠

ونظرية ديكتاتورية البروليتاريا تعنى وصاية العمال على باقى الطبقات من أجل تصفية هذه الطبقات ، ثم عدلت فى المؤتمرات المسكونية الاخيرة الى رعاية الاخ الاكبر للأخوة الصغار ٠٠ وقد أفضت وصاية الطبقة العاملة الى ديكتاتورية حزبها ، وكتيبتها المنظمة ٠٠

ولكن قيادة الحزب الشيوعى لا يشترط فيها أن تكون من أصل عمالى ٠٠ اذ أن الماركسية اكتشفت نظرية تجرد الانسان من طبقته وانتمائه لطبقة أخرى ، فالمثقف الذى اعتنق النظرية الماركسية اصبح اكثر تمثيلا لمصلحة العمال من العامل الذى لم يعتنق ٠٠ ولما كانت الماركسية قد طبقت حتى الآن فى البلدان المتخلفة حيث فرص الثقافة محدودة أمام العمال ٠٠ فقد ظهرت جماعات المثقفين الذين انتقلت لهم حقوق الطبقة العاملة بالوكالة ٠٠ وتولوا هم نيابة عنها ممارسة ديكتاتوريتها ٠٠

وقد رفضت اشتراكيتنا نظرية ديكتاتورية البروليتاريا وبالتالى رفضت ديكتاتورية حزبها ٠٠ ورفضت وصاية القيادة النظرية ، فلا كهانة ولا كهان فى الاسلام وأيضا فى الاشتراكية العربية ٠

المتفقه فى الاشتراكية ليس له حق الوصاية بموجب فقهه ٠٠ وهذا الفقه ليس صناعة جماعة بعينها ٠٠ ان كل عامل أو فلاح يضيف جديدا لخبرتنا ويضاعف انتاجنا له مكان الصدارة فى اشتراكيتنا ولو لم يسمع بماركس أو جومولكا أما ذلك الذى يجيد الثرثرة بالمصطلحات النظرية ، ثم هو كل على مولاه ، أينما وجهه لا يأتى بخير ٠٠ يجيد قبض الأجر ، ويختفى عند العمل ٠٠ فلا يفيد اشتراكيتنا بشيء ، واستئصاله لا يضيرها ٠٠

لذلك رفضت اشتراكيتنا ديكتاتورية الحزب الواحد ، ورفضت الحقوق المزعومة التى يمنحها الفقه الاشتراكى لدارسيه ٠٠ بل اشترطت فى تنظيم تحالف قوى الشعب ، وما يتفرع عنه من تنظيمات وتشكيلات التمثيل العضوى للعمال والفلاحين بنصف المقاعد ٠٠ لا لطليعة العمال ولا لقيادتها الواعية كما يدعى الشيوعيون لأنفسهم ٠٠

وكان ستالين يقول : كلما اقتربنا من الاشتراكية كلما ازداد أعداؤنا ٠٠ أما نحن فنقول : ان مقاومة أعدائنا تشتد ولكن أصدقاءنا يتكاثرون ويزدادون لأن الاشتراكية كما قلنا هى قضية الشعب كله لا قضية الأقلية المرتبطة بأرقى أشكال الانتاج ٠٠ ولأننا عندما نبنى الاشتراكية لا نفعل ما يقوله الماركسيون ننسف المقدسات الموروثة ونتحدى تراث الاستغلال والطبقية التى عاشت آلاف السنين، بالعكس اننا نعيد الأمور الى نصابها الطبيعى ، المتفق مع تراثنا وحضارتنا الاسلامية العربية ٠٠ ان الطبقات والارستوقراطية والاستغلال البشع كلها ظواهر دخيلة على حضارتنا وروحنا الاسلامية ٠٠

***

وفى بعض الأحيان يثنى الماركسيون على الاسلام، ويشيدون بأبى ذر رضى الله عنه ، ويعلنون دائما أن الماركسية لا تتعارض مع الدين ، بل يفتشون عن أحاديث ومواقف تؤكد أن بذرة الماركسية موجودة فى الاسلام ٠٠ وليس ذلك هو ما نقصد اليه ، فذلك من قبيل الفتاوى التى كانت تستخرجها شركات التأمين ، وصندوق التوفير ، قبل مباشرة عملهم فى الجماهير المحافظة ٠٠

ليس ذلك ما نعنيه ٠٠ انما نعنى أننا ونحن نبعث حضارتنا العربية الاسلامية تأتى الاشتراكية كنظام اقتصادى مجرد ظاهرة طبيعية وجزئية فى هذه الحضارة ٠٠

من هنا كانت اشتراكيتنا ليست ماركسية، لأننا أكبر من ماركس ، وحضارتنا أشمل وأعظم ٠

وقد يعترض على استدلالنا بأصالة عروبتنا واشتراكيتنا من مجرد فشل الماركسية فى الوطن العربى ، وقد يقول المعترض ان هذا الفشل لايقتصر

على العرب ، بل يكاد يكون ظاهرة عالمية ، فالملاحظ انه منذ النصف الثانى من القرن العشرين ، لم يعد للاحزاب الشيوعية دور يوازى استمرارها ، لا فى الثورات الوطنية ولا فى التحول الاشتراكي ولا حتى فى اعتناق الشيوعية ٠٠ فالاشتراكية تقوم بمعزل عن الحزب الشيوعى ، واحيانا ضد كفاحه وجهوده ٠٠ وهاهو خالد بكداش يبرق مهنئنا مرة بالغاء الاشتراكية ، ومرة أخرى باعلانها ٠٠ مؤكدا أن الشيوعيين قد أصبحوا كقبيلة «تيم» يقضى الأمر حين تغيب ولا يستشارون وهم قعود ! ٠٠ بل حتى فى حالة كوبا ، نرى أن اعتناق الشيوعية قد تم بمعزل عن الحزب الشيوعى ، بل بعد تصفيته ، ومن جانب السلطة ، وبدافع ظروفها الشائكة ، وهى بين فكى الاستعمار الامريكى الذى لا تردعه الا القوة ٠٠

فالتجربة العالمية تشير الى انه ليست الاشتراكية فقط هى التى يمكن أن تبنى بدون الشيوعيين ٠٠ بل حتى الانتماء الى المعسكر الشيوعى لا يحتاج الى ترخيص من الحزب الشيوعى ، بل يتم دونه ٠٠

هذا صحيح ٠٠ فظاهرة انعزال الاحزاب الشيوعية عن التطور الثورى ، أصبحت ظاهرة عالمية ٠٠ ومع ذلك فان اعلانها كان فى القاهرة ، وعلى يد جمال عبدالناصر الذى منح البشرية الطريق اللاماركسى للتحرر الوطنى والاشتراكية ٠٠ لأن جمال عبد الناصر هو ابن الأمة العربية البكر ٠٠ ولأن العروبة أكبر من الماركسية ٠

« محمد جلال كشك »

قسماً بمن قسم الجمال

للشاعرة الدكتورة : عاتكة الخزرجي

متعت بالعام الجديد   وغدوت من عيد لعيد
يا سيدى تفديك روحى من قريب او بعيد
وتظل ترعى وجهك المعبود من بين العبيد
اهواك اهوى الحسن اهوى الله في خلق جديد ..!
في آية رفراقة القسمات مشرقة الخدود
هذا فؤادى لم يحد عن عهد حبك او قصيدى
قسما بمن قسم الجمال بوجنتيك بلا حدود
بالسحر في عينيك في شفتيك بالدر النضيد
بالحب في جنبى رف بحرمة العهد الاكيد :
انى احبك سيدى أو بعد هذا من مزيد ؟

ثائر من غفار

بقلم : محمد عبدالله السمان

من كان يدرى أن أعرابيا من غفار قبيل الدعوة الاسلامية سيكون له شان وأى شان ؟

شان سيضعه فى مصاف عظماء التاريخ ، الذين اسسوا أجيالا ، وأقاموا دولا ، وانشأوا مجدا ٠

ان مثل هؤلاء العظماء قاموا بما قاموا به ، ومن خلفهم أتباع يأتمرون بامرهم ، وأشياع يستجيبون لاشاراتهم ،ولديهم امكانيات من القوة والمال ووسائل الاعلام ، ولكن أباذر الغفارى أو جندب بن جنادة ، تربع على قمة التاريخ ، بجهوده وحدها ، وبايمانه وحده ، امتزج العزم الصادق بجهوده كما امتزج الاخلاص العميق بايمانه ، فقاوم وحده حكما فى المدينة على رأسه ثالث الخلفاء الراشدين ، وحكما كذلك فى الشام ، وما قاوم الحكم الأول الا لأن فيه محاباة لذوى قرابة الخليفة وعصبيته ، وما قاوم الحكم الآخر الا لأن فيه ترفا فى المال ، وضياعا لحقوق المسلمين ، ولم يكن النفى أو التشريد ، أو الاضطهاد ، ليثبط من عزيمة أبى ذر ، أو ليضعف من قوة ايمانه ، أو ليوهن من ثقته فى ربه ٠

***

ان لقب « ثائر » أوثق الألقاب صلة بأبى ذر ، فلم تكن الثورة فى نفسه وليدة الاسلام ، ولا نتيجة لانحراف حكم عثمان ، ولا ثمرة لطغيان ملك معاوية، ولكنها كانت مستقرة فى نفسه قبل الاسلام بسنوات ، كانت ثورة على «مناة» الالهة التى قدستها قبيلة غفار ، واعتمدت عليها فى حاضرها ومستقبلها، أو ثورة على الأصنام التى اريد لها أن تهيمن على حياة الناس ، وهى مغرقة فى بلهها ووجومها ٠٠

كان أبو ذر يحن دائما الى اليقين ، وقد ازداد حنينه الى اليقين منذ الساعة التى أمسك فيها حجرا ، ورمى به « مناة » وهو يقول لها : « انك عاجزة لا قادرة ، مخلوقة لا خالق ، لا حول لك ولا قوة ، فعلام تعبدين ؟ ولم تنحر العقائر وتقدم اليك القرابين ؟ ان قومى فى ضلال مبين » ثم جلس يفكر فى مبدع السموات والأرض وخالق سائر الكائنات الحية ، حتى أيقن بأن هناك الها قادرا أعظم من اللات والعزى ومناة ، واساف وسعد ونائلة ٠

ولم تكد تظهر طلائع النور المحمدى ، حتى بادر بارسال أخيه « أنيس » يستطلع الخبر من مكة ، ولما لم يشف أخوه غليله ، قصد الى مكة بنفسه ، والتقى هناك بمحمد ، صلى الله عليه وسلم فلقنه عقيدة التوحيد ، وكان خامس خمسة فى الاسلام ، بعد خديجة وزيد ، وعلى وأبى بكر ٠٠

وهنا يعاود أباذر الحنين الى طبيعة الثورة التى ثارت فى نفسه ، فقد كانت الدعوة سرا ، والايمان بها مستورا ، وعلى الرغم من أن الرسول أوصاه بأن يكتم هذا الامر ، ويرجع الى بلده ، حتى اذا بلغه ظهور الدعوة أقبل ، الا أن أباذر صارح الرسول بقوله : « لا ٠٠ والذى بعثك بالحق لأصرخن بها بين أظهرهم » ثم قصد المسجد وقريش فيه ، وصاح بأعلى صوته : يا معشر قريش ، انى أشهد ان لا اله الا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ٠ ولم يفلته من أذى القوم الا صرخات العباس فيهم :«ويلكم تقتلون رجلا من غفار ، وتجركم وممركم على غفار ؟ »

هناك حادثة أثرت فى حياة أبى ذر ، وعقدت فى نفسه الايمان بالمساواة بين الناس فى مجالى الآدمية والانسانية ، لقد عير ذات يوم بلالا بامه ، ولم يكد يبلغ النبى الخبر حتى قال له فى أول لقاء : « ياأباذر، بلغنى اليوم أنك عيرت أخاك بامه ، فقال : نعم ، فقال له الرسول : يا أباذر ، انك امرؤ فيك جاهلية ، يا أبا ذر ، ارفع راسك ، فانظر ثم اعلم أنك لست بأفضل من أحمر فيها ولا أسود الا أن تفضله بعمل »

ولم يملك أبو ذر الا أن يطاطىء رأسه ، ويضطجع ويقول لبلال :

« قم ، فطأ على خدى » فاسرع بلال اليه ، وعانقه وعفا عنه ·

ان هذه الحادثة حولت مجرى حياة أبى ذر ، وغرست فى قلبه ايمانه بالانسان ، والهبت فيه الثورة فيما بعد ، حينما رأى عثمان يفاضل بين الناس ويؤثر عصبيته بالمال والجاه على غيرهم ، وحينما رأى معاوية فى الشام يأخذ بمظاهر الترف فى أحوال لاحق له فيها الا كواحد من عامة المسلمين ·

* * *

ان بعضا من الناس يأخذ على أبى ذر حدته فى ثورته ، دون مراعاة لما قد يترتب من وقوع فتنة تهز كيان الدولة الاسلامية الناشئة ، وهذا البعض يفوته أن أواخر حكم عثمان ، انحرف الحكم عن جادة طريق الاسلام ، بسبب المحاباة فى الجاه والمنصب ولو لم يوجد أبو ذر لقامت الثورة على عثمان وأودت بحياته ، وقد حدث ، كما يفوت هذا البعض أيضا ، أن حكم معاوية فى الشام أخذ بكل مظاهر الترف والسرف والفساد ، وبدت طلائع الطبقية والاقطاع تأخذ مكانا مرموقا فى المجتمع ، ولعل هذه القصة القصيرة تعطى الصورة الصادقة لما كانت عليه الحياة وقتئذ :

قال مروان بن الحكم لوكيله ــ وكان أحد الولاة ــ: انك تخوننى ، فأجابه وكيله : أجل ، أنا أخونك ، وانت تخون أمير المؤمنين ، وأمير المؤمنين يخون الله والمسلمين ·

اذن فماذا كان يملك أبو ذر الا أن يثور على أوضاع لا تمت الى الاسلام بصلة ، ولم تكن ثورته لتشوبها شائبة ، لأنه لم يكن يطلب لنفسه شيئا ، وانما كان يطلب للفقراء حقهم الذى فرضه الله من أموال الأغنياء ، وايمانه بهذا الحق منحه عزيمة لا تهن ، وتصميما على السير فى ثورته ، لايهتز ، لقد نهاه الخليفة عثمان عن أن يختلط بالناس فى المسجد ، ولكنه جلس فى المسجد يفتى الناس ، وحين قال له قائل : ألم ينهك أمير المؤمنين عن الفتيا ؟ رفع رأسه ثم قال له : أرقيب أنت على ، لو وضعتم الصمصامة على هذه ــ وأشار الى قفاه ، ثم ظننت أننى أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله قبل أن تجيزوا على لانفذتها ·

لم لم يثر أبو ذر فى عهدى الخليفتين الراشدين : أبى بكر وعمر ؟ ذلك لان العدل الاجتماعى كان قائما على قدم وساق ، فلما اهتز فى عهد الخليفة الثالث شهر أبو ذر ايمانه ليثبت دعائم العدل الاجتماعى ·

* * *

ان ثورة أبى ذر لم تكن دعوة جديدة الى الاشتراكية لان الاشتراكية مبدأ مقرر فى الاسلام ، تضمنتها روحه وأصوله ، ولكنها كانت دفاعا عن هذا المبدأ الانسانى المقرر ، ومساندة له من أن يهتز أو يتقوض ولذلك قامت ثورته على دعامتين :

الأولى : تنمية احساسات الاغنياء عن طريق الوعد والوعيد ، والأخرى تنمية مشاعر الفقراء عن طريق بث الايمان بحقوقهم التى فرضها الله لهم ·

واستطاع بذلك ــ مع ايمان قوى ، وعزيمة صادقة وشجاعة مستوفاة ، أن يقاوم الحكم وحده ، حين رآه يتغاضى عن العدل الاجتماعى وهو يترنح من ضربات الثراء الفاحش ، وصرخات العدم المترب ·· !

رحم الله أبا ذر ، وصدق رسول الله :

« ما أقلت الغبراء ، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق من أبى ذر » ·

« محمد عبد الله السمان »

تعقيبات

بقلم : عباس خضر

الاشتراكية فى مؤتمر الأدباء العرب

جاء الى بغداد ممثلو الأدباء العرب فى جميع الوطن العربى ، ومن همهم أن يضموا طارفا الى تليد فيستأنفوا عهدا جديدا تعيش فيه بغداد الجديدة فى وجدانهم بمن فيها من ادباء واهل فكر معاصرين وما ينتجون من أدب تختلج به مشاعرهم الجديدة وحياتهم الجديدة ، كما كانت ـ بغداد ـ كذلك فى عهودها السالفة . **فما من اديب عربى اصيل فى ثقافته العربية الا قد عاشت فى وجدانه بغداد العباسية بما كانت تزخر به من فكر وحضارة هما تراثه الخالد والجذر الذى يتفرع منه ـ الأديب العربى المعاصر ـ ويورق ويزهر ويثمر .**

حتى المعالم المادية ما تزال قائمة ..

هذا مثلا قصر المتوكل فى سامراء (**سر من رأى**) لا يزال بعض بنيانه قائما يتحدى الزمن وبجواره « **البركة** » الخالدة فى شعر الشعراء ، تبخرت مياهها وذهبت ولكن ما قيل فيها من شعر لن يذهب أبدا .

جاء الأدباء العرب الى بغداد العربية العريقة **كى يستأنفوا عهدا جديدا يشعرون فيه بالامة العربية كلها ، الامة العربية التى تنبعث وتتوثب من جديد ، كى ينبض فى تعبير كل ما تنبض به الآن وما تتوثب اليه من تحرر وما تتطلع اليه من بناء .**

استيقظت الامة العربية وتحفزت للانطلاق يقودها الساسة والزعماء، فليس من طبيعة الامور أن يتخلف ادباؤها عن الركب ، بل عليهم أن يحملوا فى المقدمة مشاعل الفكر التى تنير السبيل وتوضح معالم الطريق .

ها هم اولاء قد لبوا ، انهم يجتمعون الآن كى ينطلقوا بالوطن العربى الكبير فى مجال الفكر والشعور . انهم أولا يتعارفون كى يترابطوا ويتجاوبوا ، بعد طول تباعد وتفرق ، وينظرون ثانيا فيما ينبغى عليهم أن يصنعوه لأمتهم فى هذه المرحلة من حياتها الخالدة ، **مرحلة التحرر والبناء** .

اقبلوا من كل بلد عربى وقد أخذوا على عواتقهم أن يبحثوا «**دور الادب فى معركة التحرر والبناء**» .

هاهم اولا يلتقون ويتعارفون ... الواحد منهم يقول للآخر : **قرأت لك ، انى أعرفك من قبل ، انى الآن سعيد برؤيتك** . وفى نفس كل منهم أن يكون دائم الوجود فى خلده ، أخا كريما لأخ كريم ، وابنا بارا لأمة عظيمة تفتح ذراعيها لأبنائها المتوثبين لاعلائها واحلالها المكان الجديرة به فى العالم الذى صارت فيه الآن «**العالم الثالث**» بعد أن كانت شيئا مهملا بالنسبة الى العالمين الآخرين .

وكان فالا حسنا من اسم القاعة « قاعة الخلد » ببغداد التى احتفل فيها بافتتاح مؤتمر الادباء العرب الخامس يوم الاثنين الماضى (١٥ شباط ـ فبراير ١٩٦٥) حيث ألقى كلمة الافتتاح الرئيس **عبد السلام محمد عارف** ، وتوالى بعده ممثلو سبع عشرة دولة عربية وجامعة الدول العربية .

وتألفت اللجان بعد ذلك ، وانعقدت حلقاتها فى **قاعة الشعب** ، وهى قاعة أخرى غير قاعة الخلد ، وهما مخصصتان لمثل هذه الاجتماعات .

وكان موضوع المؤتمر الرئيسى كما ذكرت هو «دور الادب فى معركة التحرير والبناء » ، وقد تفرع الى اربعة موضوعات اختصت بكل منها لجنة والقيت فيه

بحوث ودارت مناقشات فى اللجان وفى اجتماعات جمهورية عامة ، والموضوعات الاربعة هى : **الادب والثورة ، والادب والبناء ، والادب والتراث ، والادب وفلسطين** • والفت لجنتان أخريان ، احداهما لوضع **قانون اتحاد الادباء العرب** ، والاخرى لحقوق التاليف واتحاد الناشرين •

ولم تظفر الاشتراكية بلجنة خاصة ، وان كانت تدخل ضمن موضوع «الادب والبناء» ومع ذلك فقد ظفرت بثلاثة بحوث خاصة طبعت ووزعت على الاعضاء، أولها : « الجذور التاريخية للاشتراكية العربية » للدكتور عبد العزيز الدورى مدير جامعة بغداد ورئيس المؤتمر ، والثانى « المفاهيم القومية الاشتراكية » للدكتور ياسين خليل ، والثالث : « الأدب والاشتراكية » للأستاذ مصطفى الفارسى •

وظفرت الاشتراكية بكلمة طيبة من الرئيس عارف فى افتتاح المؤتمر اذ قال يخاطب الادباء : **افهموا ابناءنا أن اشتراكيتنا اشتراكية عربية اسلامية منتزعة من عقيدتنا وتقاليدنا وعاداتنا وتراثنا • انها عدل ومساواة ، انها تكافؤ فرص لأبنائنا كلهم ، انها تقضى على الاحتكار الممقوت والاستغلال المزرى ، وتفتح آفاقا لمواهب الفرد كى تظهر وكى يعمل ويعيش عيشة كريمة •**

وبحث الدكتور عبد العزيز الدورى هو بحث قيم ، ولست أدرى لماذا لم يلق فى الاجتماعات العامة ويناقش ، كما حدث بالنسبة للبحوث الاخرى التى هى دون مستواه وأقل منه جدوى •• قد يكون ذلك راجعا الى تواضع الرجل وعدم شهيته للتظاهر •• ولشمول الفائدة أذكر شيئا من هذا البحث :

بدأ الدكتور الدورى ببيان ضرورة **أن ينبثق الفكر الاشتراكى العربى من التراث والواقع وأن الفكرة لن تستقر وترسخ الا اذا انطلقت من الواقع ووجدت جذورها فى التراث ، والا اذا كانت تحقيقا لآمال الامة وتجسيدا لأمانيها** • وتساءل عن المفهوم الذى تنطوى عليه الاشتراكية العربية وعن سبب نعتها بأنها عربية •• هل نعتبر التطبيق أساسا للتسمية فنصف كل تطبيق اشتراكى باسم البلد الذى يطبقه؟ ان هذا الاتجاه يفترض أن الاشتراكية واحدة حيثما وجدت • وانتهى من هذا التساؤل الى رفض هذا المفهوم لأن الاشتراكية نظام كلى له قيمه ومفاهيمه النابعة من الارث الحضارى ومن الذات • **وقال ان الاشتراكية العربية ليست صورة أخرى للماركسية، وانما هى انبعثت من واقع الامة العربية ومن ارثها الحضارى** ، وهذا لا يعنى عزلتها ، بل فى الوقت نفسه تستفيد من خبرات الامم الاخرى ومن نتاج الفكر الانسانى لاغناء ذاتها ، فهى مع جذورها الماضية مفتوحة على خبرات العصر الحديث وعلمه •

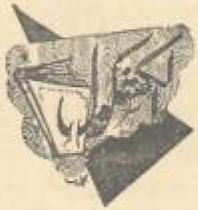
وبعد مقارنة بالماركسية ، وبحث متفطن لأدوار الصراع التاريخى فى المجتمع العربى بين القوى المستغلة والقوى المكافحة وما تخلل ذلك من اتجاهات شعوبية حاولت أن تأخذ دور الكفاح الشعبى على يد بعض الطوائف الدينية وغيرها ، وبعد القاء الضوء على ما عرفه المجتمع العربى فى بعض العهود من الخدمات التى كانت تقدمها الدولة لفئات الشعب كانشاء المستشفيات والعلاج المجانى ، والوقوف الخيرية الواسعة ، ومكافحة الغلاء وتخفيض الاسعار، وتسليف الزراع ، وتخفيض الضرائب على أنواع من البضائع المستوردة ، ومكافحة الاحتكار ، تحدث عن المفاهيم التى كانت وراء تلك الاعمال ، وهى المفاهيم العربية الاسلامية ، فأوضحها فى عدة أشياء : **انكار الاستغلال واكتناز الاموال ، وتحريم الربا باعتباره أبشع ضروب الاستغلال ، وتأكيد الاسلام لقيمة العمل والحث على الكسب بطرق شريفة ، وتقليل الفروق بين المرتبات ووضع حد أدنى لها يكفل الضرورى من العيش ، واعتبار الاسلام أن الموارد الطبيعية الرئيسية ملك مشترك للأمة ، وتركه الى جانب ذلك مجالا للنشاط الفردى ، وتقسيم الميراث وعدم حصره فى وارث واحد كما حصل فى المجتمعات الاخرى •**

واهتم الدكتور الدورى بايضاح أن ذلك لايعنى البحث عن مبررات الاشتراكية فى التراث أو فى أحداث التاريخ العربى الاسلامى ، وقال ان الحياة الجديدة لا تبنى بالتأملات النظرية ولا تقوم بالآراء المجردة ، بل هى عملية تجديد عضوى وبناء متصل ، انها تنبعث نتيجة تفاعل عاملين اساسيين ، **أولهما عامل الوعى الذاتى الذى لايخبو أبدا ، وثانيهما التحديات التى يتعرض لها الوعى •**

وختم الدكتور الدورى بحثه القيم بقوله :

ان العدالة الاجتماعية التي ننشدها تتمثل فى الاشتراكية العربية ، وهى حصيلة مثلنا وقيمنا ومبادئنا الانسانية فى تفاعلها الايجابى مع واقعنا وفى سبيل المجتمع الجديد الذى نريد ، مستفيدة فى تطبيقاتها من تجارب البشرية وتطورها العلمى ٠

اما الموضوعات الاخرى التى بحثت فى المؤتمر فسنتناولها واحدا واحدا فى الاعداد القادمة ان شاء الله ٠



● برز من خلال المناقشات فى البحوث بالاجتماعات العامة **تياران تصارعا** ٠٠ أحدهما يرمى الى تصوير الذات العربية وارثها فى صورة مجملة مزينة ، والآخر يرى المواجهة الواقعية والنظرة الموضوعية ولو كان فيها تعرية وكشف للنقائص ٠ **وتطرف الطرفان أكثر من اللازم وافتقدنا الوسط ٠**

● **كانت اللغة العربية هى قوة الجذب السحرية بين أبناء وبنات سبع عشرة دولة تمتد من الخليج الى المحيط** ، ماكان أحد يشعر أنه غريب عن الآخر ٠ وبرغم ذلك ظهر الجهل بواقع الحياة الادبية بين البلاد المختلفة بل المتفقة ٠٠ وكان الجميع يرددون أن أهم ما يحققه المؤتمر هو التعارف والترابط ٠

● لذلك كان من أهم ما اتجه اليه المؤتمر وقرره، **مشروع قانون اتحاد الادباء العرب** ٠ وقد أوصى المؤتمر الامانة العامة لجامعة الدول العربية بعرض قانون الاتحاد الذى وضعه المؤتمر على مجلس الجامعة لاقراره ٠

● أهم المثاليات الفكرية التى برزت فى المناقشات وضغط عليها وتحمسلها الجميع ، وأوصى بها المؤتمر **ان تظل جهودنا الادبية فى هذه الحقبة الثورية من حياتنا الحاضرة نابعة بالدرجة الاولى من وعى عميق بتراث الامة العربية وقيمها، حتى تظل لها شخصيتها المستقلة المتميزة ، التى تعينها على مواصلة ادائها لرسالتها الانسانية والحضارية** ٠ مع اغناء أدبنا فى نهضته الحديثة بالافادة من جميع التجارب الانسانية فى مضمار الادب والفن ، فيفتح لها نوافذه ليأخذ منها ما يثريه وما يساعده على تأصيل ذاته ٠

● فى مهرجان الشعر ألقيت قصائد جيدة من مختلف البلدان العربية ، وتميز العراق بمستواه العالى فى الشعر ٠

● ألقيت فى المهرجان **قصيدة من الشعر الحر** ، القاها الشاعر على صدقى عبد القادر (من ليبيا) وقد قدم لها برجاء أن يفسح المستمعون لها صدورهم ففعلوا وأحسنوا استقبالها ٠

● كانت بغداد والاشادة بعراقتها الأدبية وحاضرها المجيد قبلة الشعراء فيما ألقوه من قصائد ٠

● من أهم توصيات المؤتمر **ان يوجه الادباء عنايتهم الى القاعدة الشعبية وتعميق أغوارها من الناحية الفكرية لايقاظ الوعى العربى على أوسع نطاق** ، حتى يواجه الشعب العربى مشكلاته بفهم وصدق تأكيدا للكيان العربى الاشتراكى الوحدوى الجديد ٠

● ومنها ضرورة توضيح الاطار الفكرى للاشتراكية العربية ، والتأكيد على التراث العربى والاسلامى فى بنائنا للاشتراكية العربية ، **والتميز بين اشتراكيتنا والاشتراكيات الأخرى ٠**

● ومنها أن يعنى رجال الفكر والادب بالادب العربى الذى يخدم فكرة القومية العربية والاشتراكية والوحدة فى كل عصر وفى كل قطر جمعا ودراسة٠

● ومنها تحاشى استعمال عبارة « **شعوب عربية** » فى الدلالة على الامة العربية أو الشعب العربى ٠

● ومنها تشجيع الانتاج الادبى والفنى الذى يتجه الى الشباب فى موضوع الاشتراكية العربية والوحدة العربية ٠

● ومنها تيسير تداول الكتاب العربى بين الدول العربية بمختلف الوسائل ٠

● ومنها ضمان حقوق مؤلفى النصوص الادبية التى تستغل وتؤدى بالوسائل الفنية الاخرى كالغناء والتمثيل ، من الناحيتين المادية والادبية ٠

● ومنها اعفاء الانتاج الادبى من الضرائب بجميع اشكالها ٠

● فى اليوم الاخير من أيام مهرجان الشعر وردت رسالة من حكومة الكويت بأن الامير عبد الله السالم الصباح حاكم الكويت تبرع بثلاثة آلاف دينار لاتحاد الادباء العرب ٠

« **عباس خضر** »

حول الأدب الشرقي

بقلم عبده بدوى

حول طريقة جديدة للتصور

اذا كان يوجد عند الانسان الغربى تصور كامل للكون وحركة الانسان فى الحياة ، واذا كان هذا التصور يوجد عند الانسان فى المعسكر الشرقي، بل عند البلاد التى تتكيء على حضارات قديمة مثل الهند .. فان من الواجب علينا أن نقف وقفة نمسح فيها المنطقة العربية ، وقد تمتد النظرة فتشمل المنطقة الاسلامية ، فاذا عرفنا أننا نريد أن نقف على وجهة نظر هذا الانسان فى الشعر أدركنا أننا ندخل غابة متشابكة ، وأننا قد نخرج من هذه الغابة دون أن ندرى عنها شيئا غير أنها مليئة بالأشجار !

ومع هذا فنحن نزعم أن هناك تصورا خاصا بالانسان الذى عاش فى هذه المنطقة ، وأن هذا التصور قد أثر على القصيدة العربية .

فالانسان العربى كان يحس بالزمن ، ويطيل التأمل فى طبيعة الحياة من حوله ، ويريد أن يتعرف بحسه الأشياء ، وكان يبالغ فى بعض المثل والتقاليد التى كان يأخذ نفسه بها كالكرم والشجاعة والغضب ، كما أنه لم يعرف تماما الانانية والانغلاق.

.. فالصورة التقليدية للانسان العربى هى صورة الانسان التاجر الذى يعرف للاقتصاد قيمته ، والذى يعرف كيف يؤمن الطريق ويصل نفسه بالدول المجاورة ويتعاون مع الذين يقدمون على بلده .. وبعبارة أخرى هى صورة الانسان المتحرك خارج اطاره ، والذى لم يكن يجلس ليأتيه الرزق ، وانما يضرب فى الأرض من خلال « رحلة الشتاء والصيف » فى كل عام ، وهو فى اثناء هذا يجد نفسه مضطرا الى الاحتكاك بالناس وبالأشياء خارج الوطن ، وهو عادة لا يضرب فى الأرض وحده ، وانما يكون معه فى الغالب صديقان أحدهما يقوم بحراسة القافلة من الخلف بالعينين المفتوحتين ، والثانى يحرسها من الأمام بالغناء ، ولعل هذا يوضح المطالع التى ترتكز على : « خليل » و « قفانبك » .

ثم انه وقد كتب عليه أن يعيش وسط الجدب ، وأنه لا بد له من السعى الى الرزق ، وأنه فى سعيه يضطر الى أن يغادر حبيبة وزوجة واولاداً وأبا وأما وأمكنة بعينهـا ، ورؤى كانت لاتكف عن التحديق فى عينيه ، ومن هنا نراه دفاق الحنين ، ومشبوب القلب ، وقادرا على أن يعطى فى شعره دائما الانتقالات السريعة ، والصور البصرية ، والاحساس بأنه يبحث

عن شيء ، ولعل هذا هو الذى جعله بعد ذلك يلتفت دائما الى هذا الشيء الذى يتصوره بكارة الحياة ونضارة العمر ، والذى يمكن أن يمثل الآن بالاخضرار الذى يلتفت اليه الشعراء الذين تركوا القرية الى المدينة ، والذى لا يزال يعتبر قوتا أصيلا فى الأدب العالمى !

وعلى كل فالانسان العربى عرف كيف يستشرف الحياة من حوله ، وعرف كيف ينعم بالحرية ويتعامل معها بعيدا عن الخوف والتردد والملل والزهد وعشق الذات ٠

ثم جاء الاسلام فاذا الوطن لا يصبح مكانا بعينه، وانما يصبح الاسلام هو الوطن الحقيقى للمسلم ، واذا به ينعم عليه بجناحين يرفعانه عن الأرض ويجعلانه يحتك بالكون ، وبالقوى الكبيرة ، واذا به يرفع وصاية الحاكم والطبقة عن نفسه ، واذا به يجعل للسماء نصيبا فى روحه ، واذا هذا التعادل الذى يوائم بين حاجات الروح والجسد ، والذى لا يجعله حيوانا أو ملاكا وانما يجعله انسانا يحقق انسانيته بكل مضىء وضرورى فى الحياة ٠

وما هو الا زمن قليل حتى يجد هذا الانسان نفسه يتعامل وجها لوجه مع الحضارات القديمة كالفارسية والرومانية والمصرية والبربرية والأسبانية، واذا بهذه الحضارات تحاول أن تستنفده لصالحها ، واذا بما يسمى بقانون التقاء المدنيات يأخذ شكلا حادا فى هذه المنطقة ، ولكن هذا الانسان العربى — فى المنطقة — « يبتلع » هذه الحضارات ، ثم يهضمها جميعا ، ثم يساعد على خلق الانسان الجديد الذى يتكلم لغته ، والذى يتنفس فى مناخه الثقافى ، ومعنى هذا أن الحضارة الاسلامية كانت تحمل معها معنى بقائها ، وأنها كانت تكون انسانا جديدا يستطيع أن يصمد لانه يضم بين جنبيه الانسانية بمعناها المتجدد ، ثم أنه اثبت فى فترة من الفترات — وهو قريب عهد بالبداوة — انه الانسان الوحيد الذى يضم يده على حكمة الكون ، وأنه كان لا بد للغرب أن يأخذ منه كلمته ثم يمشى !

ثم توالت الاخطاء فى التطبيق ، وظهرت فترات السقوط التى كانت تتبعها دائما فترات التعويض ، بظهور دمشق ، وبغداد ، والاندلس ، والقاهرة ٠

ثم بظهور الهند بعد هذا ، ومعنى هذا أنه كان هناك — على طول الرقعة الاسلامية — من يحمل الشعلة ، ثم يتركها ليد أخرى ، ومعنى هذا أيضا أن الحضارة الاسلامية قد استمرت متجددة حتى نهاية القرن السابع عشر ٠

ثم كان الليل الطويل ، وكان اتساع الشقة بين هذا الوطن الكبير ، وكان التقدم الأوربى على جثة الأتراك ، وكانت التصفية لصالح الغرب !

والانسان فى هذه الفترة وما بعدها لا يعدم اللسان الرطب الذى كان يتردد من خلال الحضارة الاسلامية لا فى المنطقة العربية فقط ، ولكن على طول المنطقة الاسلامية كما يوجد فى شعر جلال الدين الرومى ، وفريد الدين العطار والفردوسى والسعدى وأنورى ، ثم أخيرا محمد اقبال ومحمد عاكف ٠

وليس لهذا من معنى غير أن اللسان العربى قد جف ، واخذ يردد ما كان يقوله فى الماضى ، ولكن السنة أخرى أخذت تردد أصواتا عميقة باسم الثقافة الاسلامية ، ومعنى هذا مرة ثانية أن هذه الحضارة قد وجدت دائما من يعبر عنها كاعمق ما يكون التعبير ، ومع أنا نخطىء حين ندير باعيننا فى المنطقة العربية لنبحث عن صوت عظيم فى هذه الفترة الا أن مما لا شك فيه أنه كان يوجد دائما صوت عظيم يتكلم باسم هذه الثقافة الاسلامية فى مكان ما على ظهر الأرض !

***

ثم يطل **العصر الحديث** على المنطقة العربية، وتعمل هذه المنطقة على عودة النقاء الى صوتها الأول ، وتجد نفسها متعثرة فى أول الأمر ، ولكن هذه النضارة لا تلبث أن تشق طريقها فى صوت البارودى وشوقى وحافظ ، ولكن البعض يحاول أن يخفى هذا الصوت بالحديث عن الفرعونية او العامية أو بعدم مد الاهداب الى الحدود العربية وما وراءها ، ولكن هذا الصوت يعرف كيف يشق طريقه ، وكيف يصبح صوتا ملحا على بعض المفكرين ، ولعل هذا يوضح كيف تحول العقاد وطه حسين وهيكل والزيات الى الكتابة عن الاسلام ، وعن الأدب العربى بصورة تكاد تكون واضحة وجريئة فى الوقت نفسه بالاضافة الى الاسهام الذكى الذى قام به الرافعى وأحمد أمين فى هذا

الميدان ، ذلك لأنهم كانوا يحسون ان هذا الطريق هو الطـريق الطبيعي لمصر ، وأن اى وقت تصرفه خارج هذا الطريق هو وقت ضائع ، ومجهود عقيم !

ولعل سلامه موسى قد شدد الهجوم على أكثرهم، وأراد تقييمهم من خلال اسماء الكتب التى اصدروها لانه كان يدرك هذه الحقيقة ، التى لا تزال تخفى على الكثيرين اليوم ! ولانه قد أحس منهم هذه الالتفاتة، فكان أن قال فيهم ما قال ، وكان أن ما زلـنا نردد ما قاله فيهم بنفس الحماس الذى قال به .

***

ونحن لا نذهب بعيدا حين نزعم أننا فى موقف الآن يشـبه فى بعض الوجوه هذا الموقف القـريب الذىأشعر هؤلاء الكتاب بالتحدى ، وباننا يجب أن نقف الآن وقفة جديدة تتفق مع ظروف هذه الأيام ، وتنبع فى الوقت نفسه من الدوائر الثلاث التى حددت فى كتاب فلسفة الثورة للرئيس جمال عبد الناصر .

ومهما يكن من شىء فنحن الآن منقسمون فى ميدان الشـعر ـ على الصعيد العـربى ـ كاعمق ما يكون الانقسام ، فهناك بعض الشعراء الذين يقفون عند الماركسية ، والذين يلونون شـعرهم بمضامينها ، والذينيسمحون لأنفسهم أن يقفوا منقضية فلسطين موقفا معاديا ، فاذا ما كسر بعضهم الصمت وتكلم عن هذا الجرح كان كالسائح الذى لا يزيد عمله عن أن يلتقط صورة ، أو يلقى تعليقا سريعا أقرب الى الشماتة منه الى الحزن !

وهناك البعض الذى لا تلتقط أذنه الا كل مايصك الأمة العربية أو يأخذ بخناقها ، أو يقدم الناس فيها فى صورة أغربة تنعق فى صحراء كبيرة ، على نحو ما يحب بعض الكتاب تقديم هذه الأمة .

ولقد شق **الفريق الأول ـ كالسكين ـ** طريقه فى الوجود العربى ، وكان أن رأينا شعرا جهيرا يتكلم عن الانسـانية العالمية والخنجر مغروس فى قلبه أو قلب أخيه، ثم رأينا هذا الشعر يحاكم الاله ويشنقه، ويسخر من الشخصيات المضيئة ، ومن الحضارة ، فاذا حدقنا اكثر فىحقيقة هذا الشعر وجدناه يخاصم القيم الكبيرة كالطبيعة ، والحب ، والدين ، والزمن، وفىالوقت نفسه نراه يتعامل مع الخونة، واللصوص، واللوطيين ، والمنحرفين ، أو نراه يرضع الفجور من ثدى أمه ، أو يتغذى من لبان الرذيلة على حد قول بعضهم مفتخرا ، ولقد وجد هذا الفريق من النقـاد المفسر ، والمهلل ، والمؤمر !

ثم كان الفـريق الثـانى الذى شق ـ **كالتيـار البارد** ـ طريقه فى عقول الناس ، والذى رأيناه ينزل المعركة بعدة أسلحة كان فى مقدمتها سلاح الدين ، واذا به يرفض كل ماله وجه عربى ، واذا به يحول الحيـاة الى مقبرة كبيرة تغص بالصلبـان ، واذا به يعانق السنام ، ويطالب بتعدد الآلهة ، ويجعل لكل شىء رمزا ، ولكل رمز رمزا !

ثم **هناك فريق ثالث** لا ينجو من اللوم ، بل ان عليه من اللوم اضعاف ما يقع على الفريقين السابقين، لأن الفريقين عـرفا كيف يلتزمان ، ويدافعان عما يلتزمان به كما عرف أن يجندا وراءهما العدد الكبير من النقـاد .. ولكن هـذا الفريق الثـالث وقف مشـدوها امام الصراع الدائر ، ولقـد وصلت به الدهشة الى حد الصمت ، والى تقليب التراث بين الحين والحين ثم اجتراره ، واغماض العينين من فوقه، فاذا ما تنبه فلكى يتسلم بطاقة ليقول قصيدة فى مهرجان ، أو فى ندوة .

ولعل الصراع كله لم يسـتقر الا فى **جمـاعة من الشعراء** استطاعت أن تعبر هذه الحلقـات الثلاث ، أو تقف بعيدا بغنائها عن هذه الدوائر ، محـاولة ما امكن أن تصل الى استكشاف نفسها والتعبير عن هذه النفس وعن الحيـاة بصدق ، ولقـد عانت هذه الجماعة أكثر من غيرها لأنها ابعدت نفسها عن مناطق النور واستعراض العضلات ، ولأنها تتحرك بدون ضجة وبدون نقاد ، ولكن اليأس لا يلبث أن يعـرقل خطواتهـا ، وأن يمتص الوميض من بين عيونها !

والحقيقة التى لا بد أن تقال فى هذا المجـال أن الصريخ حول هذا ، والتركيز حول ذاك لن يمنع من حقيقة تقال ، وهى ان الشعر ليس فى مستوىالحياة التى نعيشها ، وانه متخلف كثيرا عن بعض الفنون والآداب ، وانه فى الجمهورية العربية المتحدة ـ رغم الصراخ ـ دون الشـعر فى بعض البـلاد العـربية الأخرى .

وليس لهـذا من سبب الا أننـا نصغى كثيرا الى اعدائنـا ، واننا نقبل المغامرة مع الغير ولا نقبل المغامرة مع النفس ، واننا نستعير ـ بكل اخلاص ـ

تصور الآخرين لأنفسهم وللحياة ، وأن بعضنا يعادى البعض الآخر فى هذا الميدان بضراوة بحيث يعتقد أن وجوده متوقف على قتل الآخرين ، وخنق الكلمة فى نفوسهم ، وما أكثر عدد هذا الفريق !

ان هذه الحواجز يجب أن تزال ، اننا يجب قبل أن تكون تابعين لطريقة التصور الماركسية ، أو لطريقة التصور السائدة فى الغرب ٠٠ أن نكون تابعين أولا لأنفسنا ، وأن نعرف أنه يجب علينا أن نعيد بايدينا وبافكارنا صياغة أنفسنا ، وأن نفتح عيوننا على كل فكر فى العالم ، دون أن يمحو هذا من شخصيتنا العربية، ومن طريقة تصورنا للوجود، ومن هنا تكون شخصيتنا الجديدة شخصية ثرية ريانة وليست بجوفاء أو ممتلئة بقش وغبار !

ان ثقافتنا العربية تعتبر أكبر دليل على عدم التعصب ، فهى قد استطاعت ـ كما ذكرنا ـ أن تستوعب كافة الثقافات فى المنطقة ، وأن تحولها الى قوة دافعة ، والى نضارة دائمة الافترار ، فى الوقت الذى كانت فيه عباءتها لا زالت ممتلئة بالرمال ٠

وهى اليوم قد استوعبت الثقافات الكثيرة، والذى بقى عليها أن تتحرك وأن تعود الى العطاء بعد أن عاشت فترة كبيرة عالة على الانسانية !

***

ان هناك من يشكك دائما فى حضارة هذه الأمة وثقافتها ، ونحن نعرف أن هذا الصوت لم يهدأ أبدا على طول امتداد التاريخ ، بل لقد كان من دواعى تجمعها وتحديها كما حدث أكثر من مرة ٠

غير أننا نحب أن نقول لهؤلاء المشككين كلمة، وهى انهم على جانب من الحق ، ذلك لأنه لا يوجد الآن من عنده « الحس الثقافى » بهذه الأمة ، ان المواطن الانجليزى مثلا يتوفر عنده هذا الحس لأنه يمسك فى عقله بكافة الخيوط التى تكون ثقافة أمته ، فكل جوانب هذه الثقافة واضح ويستطيع أن يضع عليها يده وعقله فى قصيرة ، ولكن من منا يمسك بخيوط الثقافة العربية ؟ من منا يوجد عنده هذا الحس المرهف بثقافة هذه الأمة على المستويين العربى والاسلامى ؟

ان كلا منا يعيش داخل حدود ضيقة تتبع فى القالب الحدود السياسية ، ومعنى هذا أن كلا منا يعيش بجزء من هذه الحضارة ، وأن ما يعيش به المواطن فى الجمهورية العربية المتحدة يختلف عما يعيش به المواطن فى العراق أو فى لبنان ، بل ان الكثيرين لا يعرفون حق المعرفة الجزء الذى يعيش داخل حدودهم ، ومن هنا تكون طريقة تصورهم للأشياء ناقصة وهزيلة ، بعكس تصورهم للحياة مثلا فى أمريكا أو روسيا :

وليس معنى هذا أن الأمة العربية « تراث فقط » ولكن معناه أنه حين توجد الأمة بمعناها الكبير توجد أيضا طريقة التصور الشاملة التى تشد المواطن شدا حين يهاجر ليملأ عقله هنا أو هناك ، ومعناه أيضا أن الحضارة العربية والثقافة العربية شىء ثابت وموجود على طول الرقعة العربية ، وانهما يمكن أن تثرى الانسان ، وتملأ عليه وجوده ، وتضيئه من كل الجوانب ، وأن على كل من يشك فيهما ـ بصدق أو بحقد ـ أن يحس على أى أرض صغيرة منها يقف !

٠٠ وفى ضوء هذا تصبح رسالة الشاعر العربى أن يتعلم الطير فى آفاقه أولا ، والا يصغى لهذه الاصوات الذهبية التى تأخذ عليه اتجاهه من الغرب والشرق ، وأن يمتلك بوجدانه هذه المنطقة الكبيرة بالرغم من الحدود السياسية ، وأن يتربى عنده الاحساس بان عليه مسئولية رفع هذه الحدود الخانقة ٠

وهو حين يفعل لن يضيره بعد ذلك أن يشرق أو يغرب لأنه يكون قد عثر على طريقة جديدة فى تصور الاشياء نابعة من نفسه ، ولأنه يحس انه بها متكامل وانه يستطيع أن يقدمها بفخر الى كل مكان يذهب اليه !

اننا حين نفعل ذلك يكون قد وجد عندنا الشعر العظيم والشاعر العظيم ، ونكون قد وجدنا أنفسنا ، واهتدينا الى الجوهرة التى كانت بين أيدينا ونحن نبحث عنها ٠٠ ونكون قد وصلنا الى شىء يمكن أن نقول للعالم انه آن له أن يأخذ ، وأن يقتات من هذه الأرض العريقة ، ونكون قد اسكتنا صوت الحقد المستمر على الأمة العربية لفترة !

ونكون مرة أخيرة مستحقين للحياة بعد أن عشنا فترة كبيرة مستحقين للموت !

« عبده بدوى »



الاشتراكية والعلم

بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

يطيب لى من حين الى حين اذا ما دعيت الى القاء محاضرة او كتابة مقال ما ، أن أنقب جدار التاريخ ، ثم أسبح فى الزمان الوجودى على جناح الأثير ، لعلى اجد على التراث هدى ، والاشتراكية هى جنين القرن العشرين ، خرج من صلب الثورة الصناعية كماء دافق ، وقام على تغذيته رجال من الفكر غلاظ شداد، أمثال كارل ماركس وانجلز واللورد كينز وجوستاف لوبون ولينين وغيرهم ، ثم أخذ ينمو وينضج فوق الزمان خببا ، ولما اشتد ساعده رمى الراسمالية بسهام قاتلة ، فأزاحها من بلاد فى الشرق كثيرة ..

يقولون أن العمالة هى ركيزة الاشتراكية، والعمل هو سلوك ظاهرى يجد جذوته المتقدة فى حرص الانسان على الحياة ، ومن ثم كان دافع العمل هو أقوى الدوافع النفسية وأولاها بالرعاية لانه من الفطرة ، والعمل أيضا هو كل اجهاد ذهنى أو عضلى يهدف الى ايجاد المنفعة ، واجهاد الذهن هو الذى يخلق العلم والثقافة والتكنولوجيا .

والانسان فى سعيه المتصل لتدبير معاشه واشباع حاجاته ، عرف أنماطا مختلفة من النظم ، كانت على تباينها شكلا واسلوبا ، تستهدف محاولة الوفاء بحاجاته غير المحدودة بموارد كانت دائما محدودة ، وفى سبيل تحقيق هذا الهدف تباينت النظم فى نظرتها الى الانسان الفرد والى الجماعة ، هل يكون الفرد هو الركيزة التى ينطلق منها كل نشاط فى مجالى الاقتصاد والعلم ، أم هى الجماعة التى ينبغى أن تحل محل الفرد ، وتتولى قيادة النشاط الاقتصادى والتقدم العلمى تنظيما وتخطيطا ، ولا شك أن الثقافة لعبت دورها عبر الزمن ، باعتبارها الوعاء الذى يستوعب تاريخ الحياة العقلية والعلمية ، ومحاولات الانسان للبحث عن أفضل النظم التى يختارها لحياته وتدبير معاشه .

***

واذا كان ثمة اختيار لنظام بعينه ، فلا بد أن يسبقه تحول أصيل فى الاتجاه الفكرى ، وفى الاشتراكية بشكل عام — كما فى أى نظام آخر — لابد من هذا التحول الفكرى ، الذى يعنى أن النظرة الى الحياة والى قيمها ينبغى أن تكون وفقا لنظام جديد، بعلاقات اجتماعية واقتصادية ذات أبعاد معينة ، وهذا ما حدث بالنسبة لاشتراكيتنا العربية فى جمهوريتنا ، فقد كان للثقافة أهمية أكيدة لمراحل العمل الثورى، وهذه الاهمية تنبثق أساسا من نظرة الاشتراكية العربية للانسان ، الذى لا تعتبره مجرد كائن مادى تستهدف حاجاته ومتطلباته المادية والمعيشية فى الرخاء والرفاهية ، وانما تعالج على نفس المستوى ، طاقاته الروحية والمعنوية المبدعة ، القادرة على اذكاء مساهمته الايجابية الخلاقة فى ايجاد المجتمع المتحرر من كافة الرواسب القديمة ، والذى لايستغل فيه الانسان أخاه الانسان ، وكان لابد لهذا من تخطيط علمى هادف الى توسيع قاعدة الثقافة أفقيا ، ثم تعميق خطوط الثقافة رأسيا ورفع

مستواها ، على اساس احترام ملكية الفرد وهو ما يسمى القطاع الخاص ، وملكية الجماعة ، وهو ما يسمى القطاع العام .

التطور العلمى فى التاريخ :

لم يكن العلم مباحا لجميع الأفراد فى حضارتنا المصرية القديمة ، بل كان احتكارا لطبقة الكهنة يتوارثونه فيما بينهم فى المعابد ، وكان هناك تحالف بين الفراعين القدامى والحكام ورجال الاقطاع كطرف أول ، وبين الكهنة وسدنة المعابد ، يغمر طبقة الكادحين والفلاحين فى سيل من اساطير الدين ، فليس أمامهم من سبيل سوى الامتثال لخليقة آمون أو ايزيس وأوزوريس والتقرب الى هذه الآلهة عن طريق وساطة رجال الكهنوت ..

كان العلم اقطاعا كما كانت الأرض !! لذلك استمر محاطا بسياج من الكتمان ، وأصبح سرا مغلقا على الافهام ، وقبر معهم الا ما ظهر منقوشا لغرض من الأغراض فوق قطعة من رخام أو حجر ..

كذلك كان العلم فى بابل وآشور !!

ثم جاء سقراط يعلم الناس فى الأزقة والشوارع فى ربيع الفكر اليونانى ، غير مفرق بين سادة أو عبيد ، ليجعله مباحا للجميع ، فلم يرق ذلك لحكام أثينا فاضطروه الى شرب السم ليتخلصوا من تفكيره المتحرر ، وفى القرن الرابع قبل الميلاد أنشأ أفلاطون أول جمعية علمية بالمعنى الصحيح ، نسبت الى موضع ظليل يسمى « أكاديميا » فى الشمال الغربى من أثينا ، ابتاعه أفلاطون ، وجعل يلقى فيه طلابه ومريديه منذ سنة ٣٨٧ ق.م . وكانت رياسة هذه الجمعية بالانتخاب وظلت لافلاطون طوال حياته ، كانت هذه الأكاديمية بمثابة نظام اشتراكى يتبع القطاع الخاص يتلقى فيه الطلاب دون العبيد شتى العلوم من فلسفة ورياضيات وفلك وطب ومنطق وغير ذلك ، وقد عاشت هذه الجمعية زهاء تسعمائة عام حتى أمر بغلقها الامبراطور الرومانى جوستنيان.

وقد تتلمذ ارسطو على استاذه أفلاطون فى أكاديميته ، ويظهر انه كان يطمع فى أن تؤول اليه رياستها بعد وفاة استاذه ، ولكنها لم تؤل اليه ، فهجر ارسطو أثينا لينشىء جمعية أو معهدا آخر سماه « ليسيوم » .

وفى أوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، فى عهد بطليموس الاول ، أنشئت أكاديمية الاسكندرية تتبع القطاع العام واساتذتها علماء من الشرق والاغريق، وعلومها خلاصة الحضارات السابقة ، هيلينية الطابع، ومن اشهر رجالها أرشميدس وهيرون وجالينوس وفيلوبونوس المشهور بيحيى النحوى، وفيها أنشئت أكبر مكتبة فى الشرق هى مكتبة الاسكندرية الشهيرة .

ولما دخلت المسيحية مصر ، ضاقت ذرعا بهذه العلوم التى سمتها وثنية ، فقام الغوغاء بالاعتداء على أكاديمية الاسكندرية واحرقوا « هيبيشيا » أكبر عالمة للرياضيات فى ذلك العصر بالاسكندرية وابنة امين المكتبة ، وكان عالما فذا .

لم يكن العلم حرا طليقا فى جميع هذه الأحقاب سواء أكان تابعا للقطاع الخاص فى أكاديمية افلاطون أم كان تابعا للقطاع العام فى عصر البطالمة أو العصر الرومانى ، بل كان ما يلقى فيه لابد ان يروق فى أعين الحكام والأباطرة ، كل يعمل على شاكلته .

***

وفى غمرة هذه الأحداث أخذ يتبلور الفكر العربى الطليق فى الجزيرة العربية ، ثم انطلق فى الجاهلية ماردا يعبر عن الاحاسيس الوجدانية فى تحرر وشمول ، وظهر الاسلام نورا ساطعا يحرم الاحتكار والطبقية أو الاقطاعية ، ويدعو الى العلم حيث يقول القرآن : « ويرفع الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ويقول أيضا « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون » كما يقول « وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

اراد الاسلام أن يجعل العلم مباحا للجميع لا فرق بين سادة وعبيد ، مباحا كالهواء والكلا ، روى عن الرسول «يوزن يوم القيامةمداد العلماء بدم الشهداء» ثم : «لموت قبيلة أيسر من موت عالم» وقوله « غدوة فى طلب العلم أحب الى الله من مائة غزوة » وقوله « لا خير فيمن كان من أمتى ليس بعالم ولا متعلم » .

***

كانت حلقات العلم تعقد فى المساجد وفى المنازل وفى الاسواق دون تفرقة ، اشتراكية صميمة تتبع

من القرآن والسنة ، والآيات تتلى تباعا وتلعن احتكار العلم «ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون » ، وازدهر العلم في العصر العباسي بعد أن بدأ خلفاء بني أمية بفتح قصورهم للعلماء والدارسين .

وأنشأ هارون الرشيد بيت الحكمة وبلغ النشاط ذروته في عهد المأمون ، لا فرق بين ذمي أو عربي أو أعجمي ، يقول ابن أبي أصيبعة : ان الرشيد ، قلد يوحنا بن ماسويه ترجمة الكتب القديمة ، مما وجده في أنقرة ، وعمورية ، وسائر بلاد الروم حين غزاها المسلمون ، ويحدث « ابن نباته » أن المأمون عين « سهل بن هارون » ، كاتبا على خزانة الحكمة ، حيث كتب الفلاسفة التي نقلت الى المأمون من جزيرة قبرص ، وذلك أن المأمون لما هادن صاحب هذه الجزيرة أرسل اليه يطلب خزانة كتب اليونان ، وقد اغتبط بها المأمون ، ويروى ابن النديم أن مجموعة ثالثة جاءت من القسطنطينية الى خزانة الحكمة ، طلبها المأمون من ملك الروم ، وبرز تراجمة وعلماء مسيحيون أمثال قسطا بن لوقا البعلبكي وأطباء مثل ابن بختيشوع من جند يشابور .

وفي عام ٣٩٥هـ في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي انشئت دار الحكمة بالقاهرة لتنافس المدرسة النظامية ببغداد ، وقد حملت اليها الكتب من خزائن القصور ، وأجريت الأرزاق على من فيها من العلماء أمثال الحسن ابن الهيثم وابن يونس وابن النفيس وهو من الأطباء يقول « المقريزي » وابيح دخولها لسائر الناس ، فوفدوا اليها على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من يحضر للقراءة ، ومنهم من يحضر للنسخ ، ومنهم من يحضر للتعليم ، كما أباح الحاكم المناظرة بين المترددين الى دار الحكمة ، فيعقدون الاجتماعات والمناظرات ، وظلت دار الحكمة مزدهرة حتى أوائل القرن السادس الهجري .

اشتراكية في العلم كان يتولاها القطاع العام : في بغداد والقاهرة وقرطبة بالاندلس يهرع اليها الطلاب من كل مكان ، كل سرب قد تلاقى واحتشد !!

اما في مجال القطاع الخاص فكان العلماء الأفراد يفتحون أبوابهم لجميع الدارسين ، يقول الجوزجاني « كان يجتمع كل ليلة في دار ابن سينا طلبة العلم ، وكنت اقرأ معه الشفاء ، وكان يقرىء غيري من القانون نوبة ، وكان التدريس بالليل لعدم الفراغ بالنهار خدمة للامير شمس الدولة ، وقضينا على ذلك زمنا ، كذلك كان منزل ابو سليمان السجستاني (محمد ابن طاهر بن بهرام) الذى توفى في العقد الاخير للمائة الرابعة الهجرية - كان منزله مقيلا لأهل العلوم القديمة تصدى لقراءتها ، وقصده الرؤساء والأجلاء ..

نضجت العلوم في شتى المجالات ، بعد أن مرت بطور الترجمة ، وأصبحت أصيلة في ابتكاراتها ، غامرة البلاد كالمزن يسكب الغيث اذا ما هتن !!

وأخذت المذاهب الاسلامية المتنابذة كالاشاعرة والمعتزلة والكيسانية والاباضية وغيرها تتصارع في حرية وطلاقة، وكان التنافر على أشده بين أهل السنة والشيعة ، فازدهر علم الكلام ، واصطخبت الأمواج حينا ، وتهادنت أحيانا أخرى ، ولكن العلم الاسلامي في جميع الحالات كان بحرا زاخرا ، يقذف الدر اذا ما سكن !!.

جامعة سمرقند :

أسسها السلطان أولوغ بيك حفيد تيمورلنك ، وكانت مشعلا للعلوم الاسلامية في أواسط آسيا بجميع فروعها ، وكان يديرها صلاح الدين موسى العالم الكبير ، وكان يسمى قاضي زاده الرومي ، ويساعده علاء الدين علي القشجي في ادارة المرصد الكبير ، وكان هناك عالم ناشيء يدعى جمشيد غياث الدين الكاشي من كاشان أراد أن يلتحق بهيئة العلماء الذين يحيطون بالسلطان اولوغ بك ، فلم يتقدم باستمارة التحاق لمكتب التنسيق كما يفعل أولادنا في العصر الحاضر ، ولم يسأله العالم الكبير قاضي زاده عما اذا كان نجاحه في بلده بكاشان بدرجة مقبول أو جيد أو جيد جدا أو ممتاز كما تفعل جامعاتنا طبقا لقوانينها ولوائحها التي استوردتها من خارج الجمهورية، ولكنه قام برحلة طويلة أودعها في خطاب أرسله لوالده عندما سافر قاصدا سمرقند ، كتبه بالفارسية ونشرته مجلة (آموزش وپرورش)

التي تصدر في ايران في العدد الثالث عام ١٣١٩هـ، وهاك ترجمته العربية لبعض فقرات تدل على حرية العلم ، ومناظرات العلماء :

« اجتمع فحول العلماء في سمرقند مع مدرسي جميع العلوم ، والطلبة من حولهم منهمكون في تحصيل فنون الرياضيات ، ومن جملتهم أربعة تخصصوا في شرح « أشكال التأسيس » وواحد في تفسير « تجنيس الحساب » وآخر كتب رسالة في البرهان الهندسي للمسائل الخاطئة ، وكان أعلم الموجودين قاضي زاده الرومي ، وكان قد كتب تعليقا في شرح «جغميني» وشرح أشكال التاسيس، وكان هناك جمع غفير من المنجمين والمستخرجين (الحساب) ، أما طلبة كل أرباب فن فقد كانوا مجتمعين حول أساتذتهم •

وبالاختصار لما جاء هذا العبد الخاشع لمثل هذا المكان تطلع اليه كل فرد ثم انصت اليه ، لكي يعرف أي نوع من الرجال هذا، وقد اعتاد المقام السلطاني الحضور الى حلقة الدرس كل بضعة أيام ، وعندما يعلن حضوره تتقدم دروس الرياضيات في الأولوية، وقد حضر هذا العبد الخاشع (يقصد نفسه) حلقة الدرس •

ومثل من أمثلة امتحانات الطلبة أن يواجه كل من يشترك في حلقة الدرس وهو غافل عن نوع المسألة التي تطرح ، وأصحاب المدرسة يقيمون البلاغة في البحوث المطالعة ، وعندما يعلن البحث كل مرة بعناية الله تعالى وبتوفيق الهامكم (يقصد والده) ، فان هذا العبد الفقير يدخل دخولا كاملا (في المواضيع) حيث يقوم بسرد أشياء كانت خافية باديء ذي بدء ، داحضا الاعتراضات الموجهة ، ومبينا نقاطا دقاقات أذهلت الجميع » •

هذه هي روح الحضارة الاسلامية في البحوث العلمية ، لا تحتاج الى استمارات تنسيق من نسيج القوانين البائدة ، وليست هناك وصاية على العلم أو احتكار له من شلة من العلماء الذين رضعوا على أساتذة أجانب فاصبحوا لهم مقلدين ، وليست هنا لمبات حمراء واخرى خضراء معلقة على الباب الخارجي لحجرة شيخ العلماء قاضي زاده ، ولا سكرتيرة حسناء جالسة في المكتب المجاور، وهو مكتب المدير وعليه تليفون أو أكثر وبجانبه حفنة من موظفي المكتب يقرأون الجرائد والمجلات اليومية ويحتسون القهوة بين الفينة والفينة ، بل جامعة مفتوحة أبوابها ، تقبل الطلاب الجدد ، دون وضع قيود صارمة على أوراق التحاقهم ، ليواجهوا محافل العلم أمام الطلبة القدماء بايمان ثابت اليقين ، ومعهم السلطان وبقية رجال العلم ، حيث يجرب كل من الطلبة الجدد حظه ، وان تعثر فامامه فرص أخرى • نبغ جمشيد الكاشي في هذه الجامعة ، واشترك مع السلطان اولوغ بيك عام ١٤٣٦ م في عمل الزيج الخاقاني الذي طبع في انجلترا عام ١٦٦٥ ، ونيوتن في ريعان شبابه ، وكان الزيج يدرس في انجلترا مع الجداول الحسابية التي وضعها جمشيد أيضا •

يا قوم !! افتحوا مراكز البحوث لكل طالب علم مستزيد ، واطرحوا اللوائح المستوردة من جامعات الخارج ، تلك اللوائح التي اشترك في وضعها اساتذة اجانب أو أساتذة مصريون كانوا أشد حماسة من الأجانب غرورا منهم وصلفا •

أما اللمبات الحمراء والخضراء فلا مكان لها في حرم العلم !!

اشتراكيتنا نابعة من تاريخ اسلامي مجيد ، وتقاليد عربية متواضعة ، ليس فيها صلف أو بيروقراطية ، لقد نجحت اشتراكيتنا في القضاء على سيطرة راس المال والاقطاع ، ولكن في مجال العلم والبحوث التكنولوجية ، ما زالت هناك جيوب ينبغي استئصالها حتى لا تزداد مع الزمن تورما •

اشتراكيتنا تؤمن بوحدة الجماعة في نطاق التعاون بين الافراد ، ولا تقر التناقض الطبقي أو تميز العلميين ببدلات مختلفة هي من رواسب الماضي، فهي تسعى الى اذابة الحواجز بين الطبقات في الوقت الذي يسعى فيه حفنة من العلماء ممن أشربوا النظام الاوروبي البغيض الى تكوين طبقية مصطنعة وتقييد فرص التكافؤ أمام طلاب البحوث العلمية والتكنولوجية •

أحمد سعيد الدمرداش

السياسة المالية في الإسلام

تأليف: عبد الكريم الخطيب

بقلم: محيي عبد الحي

تجتاح عالم النصف الثاني من القرن العشرين الكثير من الافكار المتضاربة التي تميز حركة الانسان المعاصر في اندفاعه اللانهائي تجاه طلب المزيد من التقدم العلمي والتكنولوجي . وتساعد حركة التقدم الانساني وتطورها على افراز العديد من الافكار والمبادىء النظرية – تلك المبادىء التي اصبحت عند تطبيقها تشكل بالنسبة لكثير من الشعوب عقائد وايديولوجيات مختلفة تحكم اهداف وسلوك مجتمعات باسرها .

ومجتمعنا العربي – كجزء – من المجتمع العالمي يزخر هو ايضا بافكاره وتطلعاته المشروعة في سبيل وحدته وتقدمه مؤمنا بحتمية الحل الاشتراكي لمشاكله وقضاياه . ولعل اعظم ما في تجربتنا الاشتراكية الخاصة اننا لم ننهمك في النظريات بحثا عن حياتنا وانما انهمكنا في حياتنا ذاتها بحثا عن النظريات . اي اننا لم نلتزم بقوالب جاهزة لكي نصب فيها انفسنا فكريا ومعنويا وعمليا .. فعلى الرغم من اننا اشتراكيون مناضلون من اجل الحرية والعدالة الاجتماعية والسلام العالمي .. فاننا ايضا قبل كل شيء قوميون عرب نؤمن بالوحدة الشاملة بمحتوياتها الروحية والمادية العادلة .

ومن الناحية الروحية نود ان نقول – ان الاشتراكية والقومية الحقيقية لا يمكن بحال من الأحوال أن تناقض الدين الصحيح ، انها ليست في جوهرها – سوى حركة روحية ترمي الى بعث قوى الأمة الداخلية ، وتحقيق قابليتها العقلية والنفسية .. فلا بد لها اذن وهي حركة روحية من ان تلاقي الدين وأن تستمد منه القوة والحياة ، واذا عارضت الاشتراكية العربية شيئا فليس هو الروحية الدينية ، وانما هو العصبية الهدامة التي تجعل الرابطة الطائفية اقوى من الرابطة القومية ، وتأبى ان تذيب نفسها في بوتقة الوطن الجامعة .

وكتاب **السياسة المالية في الاسلام** يرد على استفسارات كثيرة ويدرس موضوعات هامة .. وغاية هذا الكتاب كما يقول مؤلفه هي ان يذكر بأن الاسلام قد اقام بتعاليمه وتشريعاته دنيا قوية عزيزة الى جانب الدين الكريم الذي أقامه في قلوب اتباعه ، وان الاسلام لم يكن مجرد دعوة دينية تسوق الناس سوقا الى القبور وماوراء القبور من حساب وعقاب ، وجنة ونار حسب تلك التصورات المريضة الخاطئة التي عاش فيها المجتمع الاسلامي فترة طويلة من الزمن ، فقد وضعت الشريعة الاسلامية المبادىء العامة ، والأصول الأولى للحلال والحرام ، ثم تركت للناس مجال التحرك والعمل في ظل هذه المبادىء وعلى هديها وان اختلفت الصور والأشكال بين الأصول والفروع .

والدين الاسلامي قبل كل شيء هو دين اليسر والتخفيف : يقول سبحانه وتعالى « يريد الله بكم اليسر ، ولا يريد بكم العسر » ويقول جل شانه « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ، ويقول « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » ويقول سبحانه وقد جعله دعاء ندعوه به : « ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ، ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به » ويقول الرسول الكريم « عليكم من الأعمال ما تطيقون » ، ومن هذا الأساس السمح انطلق المؤلف يعرض لنا وجهة نظر الدين الحنيف في كثير من القضايا التي تهم عالمنا العربي المعاصر .. فعرض لنا قضايا التعامل المالي من جوانبها المختلفة .. من شركات وبنوك واعمال البورصة وسوق العقود المالية وغيرها من المعاملات الاقتصادية .. اذ ان الأساس في كل هذه المعاملات هو الأرباح يقابلها في الدين الاسلامي الربا ، وشرح لنا كيف أن الحكمة من تحريم الربا هي ما يخلقه من أضرار تنجم عن الاستغلال المشين لقيم الانسان الروحية والمادية .. ويخلص المؤلف الى هذا التساؤل : .. هل يحل التعامل بهذا الربا بعد أن يزول عنه ما تلبس به من شر وبعد أن خلص من الأسباب الموجبة لتحريمه ؟ على أساس أن التعامل بهذه الصورة يوجد المنفعة المتبادلة لكل من الأطراف المتعاقدة وليس الضرر المقصود . ويقول الكتاب في صفحة ١٨١ ..

ان الجواب على هذا السؤال هو الجواب على السؤال الآتي :

الخمر حرام ، وهي ام الكبائر .. فاذا استطاع العلم الحديث ان يجيء بمادة تسلب الخمر مادة الاسكار ، وتبقي على لونها ، وطعمها ، وريحها فهل

يظل شراب مثل هذا حلالا أم حراما ؟ انه خمر يسكر وقد تحول الى خمر لا يسكر ؟ فما الجواب ؟

الجواب ، لا شك انه حلال لا حرج من شربه فما الخمر بالخمر الا لأنها تخامر العقل وتغطيه بما فيها من مادة الاسكار ، فاذا ذهب عنها ذلك بوسيلة مضمونة محققة فلا حرمة فى شربها .

وكذلك هذه الصورة من الربا بعد أن ينزع عنها ما كان سببا فى تحريمها .

ويعرض لنا الكتاب موقف الشريعة الاسلاميةمن قضايا الاحتكار وتثبيت الأسعار فيقول في ص ١٩١ :

« وعملية الاحتكار هذه اعتداء على حق الجماعة، وتهديد لحياتها فقد تؤدىالى حبس اقوات الشعب والارتفاع بها عن متناول الفقراء ولهذا قال النبى الكريم « لا يحتكر الا خاطىء » وقد اباحت الشريعة الاسلامية لولى الأمر ان يضرب على يد المحتكر ، وان يبيع عليه ما احتكر بالسعر المناسب .

ويتحدث الكتاب عن الخراج والجزية والزكاة وغيرها من المصادر التى كانت تغذى بيت المال فى المجتمع الاسلامى ويورد موقفا لسيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ مبينا روحه العادلة أو ما يمكن أن نقول عنه اشتراكيته فيقول : ـ ص ١٩٤ ·

ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما حمل اليه ابو موسى الاشعرى أموال الخراج والصدقات وكانت الف الف ، فقال له عمر بكم قدمت ؟ قال بالف الف ، قال عمر : ان كنت صادقا ، فليأتمن الراعى نصيبه من هذا المال وهو باليمن ، ودمه فى وجهه » اى من غير أن يريق ماء وجهه بالسؤال .

واذ كنا اليوم نطلق شعارات ـ العمل حق ـ العمل حياة ·· ونحارب البطالة والكسل فان الشريعة الاسلامية تحض على العمل وتؤكد أهدافه الانسانية ·

يقول الرسول الكريم : لأن يأخذ احدكم حبله فياتى بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها خير له من ان يسأل الناس أعطوه أو منعوه » .

ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه : « انى لأرى الرجل فيعجبنى ، فاقول اله حرفة ـ اى عمل ـ ؟ فان قالوا لا ، سقط من عينى » ، والناظر فى الشريعة الاسلامية يرى فيها أن العمل ضرب من العبادة وان الانسان ما خلق الا ليعمل ، فان عبد الله فهو عامل وان سعى فى رزقه فهو عابد ! ص٩٧ ، ٩٨

ويقول المؤلف :

ونستطيع أن نقرر فى اطمئنان وثقة أن الاسلام لا يضيق بالجديد فى الحياة ولا يتنكر له مادام هذا الجديد يحقق نفعا ، ويسد مطلبا ، بل انه ليزكى هذا الجديد ويبارك عليه .

***

وبعد : فنحن لا نشك فى أن كل تفسير حقيقى للقرآن وللشريعة الاسلامية ـ تسوده روح الاجتهاد والمعاصرة ـ سوف يؤكد عدالة قضيتنا فى مطلبنا الخاص باقامة مجتمع اشتراكي اسلامى مزدهر · وعلى الرغم من أن المؤلف قد عالج معظم موضوعاته ـ معالجة خارجية ـ فانه قد مهد الطريق لمزيد من الدراسات الجادة حول ما طرحه من قضايا ··

ان السياسة المالية للمجتمعات لاتعنى فقط أعمال البورصة والمضاربة والسمسرة والمعاملات المصرفية من قروض وايداع أو شركات للتامين وشركات للانتاج الاستغلال · ففضلا عن ان معظم هذه الأشكال الاقتصادية التى تعرض لها المؤلف بالبحث والدراسة هى فى الأساس اشكال ونظم راسمالية ·· فان للمجتمع الاشتراكى مؤسساته الخاصة ابرزها القطاع العام ، وله مشاكله وقضاياه الحيوية مثل توسيع قاعدة العمالة ، والقروض ذات التسهيلات الائتمانية ، وخطط التنمية السريعة والبعيدة المدى ، وما يخدم هذه الأهداف من الحصول على عملات اجنبية وتشجيع لتجارة « الترانزيت » وغيرها من الأهداف والخطط الموصلة اليها ، ولقد أصبح من المحتم على معظم المفكرين الاسلاميين أن يلموا الماما كافيا بظروف مجتمعاتهم ، وباكبر قدر ممكن من العلوم والنظريات الفكرية الحديثة حتى اذا قدموا لنا دراساتهم قدموها متسمة بروح العصر الذى نعيش فيه ·

ان اشهار سيف الحلال والحرام بلا اقناع أو دراسة موضوعية سوف يصرف البعض الى أن يبحثوا عن الاقناع والشرح والتحليل عند مصادر اخرى · ولعل اعظم شىء يمكن أن تصل اليه تجربتنا الاشتراكية ـ هو أن توجد فى صلب تجربة الانسان العربى الفرد تلك القوى الروحية الدافعة لذاته نحو تحقيق أهداف مجتمعه فىالعدالة والمساواة، وتحقيق أهداف أمته فى الوحدة والتقدم ·

تحسين عبد الحى

كتب جديدة

تقديم : أحمد الصادق عبد الصمد

● **الاشتراكية العربية والتطور الاشتراكي**

تاليف : د . نظير حسان سعداوى

الناشر : مكتبة وهبة ـ عابدين

يقع الكتاب فى ٢١٦ صفحة من القطع المتوسط ، تناول المؤلف فى القسم الأول منه التطور التاريخى للاشتراكية ، فى ستة فصول : الفكر الاشتراكى القديم ، الاشتراكية الاسلامية ، مجتمع العصور الوسطى ، فلسفات القرن الثامن عشر وثوراته ، اشتراكيات القرن التاسع عشر ، كما تناول فى القسم الثانى نظرية الاشتراكية العربية فى اربعة فصول : الوجه الفلسفى للاشتراكية العربية ،الوجه الاجتماعى لها ، الطريق الى الديمقراطية السليمة ثم التحليل العلمى والفلسفى لنظرية الاشتراكية العربية مدعما بالوثائق .

● **الملكية في الاسلام**

تاليف : السيد أبو النصر الحسينى

الناشر : دار الكتب الحديثة

يقع الكتاب فى ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط ، وتناول المؤلف فيه الملكية فى الاسلام وفى الأديان الأخرى ، وتحديدها عند الاسلام والغرب ، ونظام ملكية الأرض فى الاسلام وموافقته بعض المذاهب الاقتصادية والغربية الحديثة ، ثم الفرق فى الاقطاع عند الاسلام والمذاهب الاقتصادية الغربية ، وغاية التشريع من الملك فى الاسلام .

المؤلف يقرر أن الاسلام يقر بالملكية ولكنه مع ذلك يسعى لتضييق نطاقها خشية أن تصرف سعتها صاحبها عن الرشد ، فيحيد عن طريق الصواب ، ويحيى فى المجتمع معالم الجور ، والى جانب هذا فان اكثر الأديان لا يسمح لأتباعها بالملكية ، فالبرهمية تعلن ان السعى لملك الثروة اثم ، والبوذية كانت تعد حياة المالكين أحط درجة ، ومما يلفت النظر أن فرقة (ديجمبرا) من الديانة الجينية الهندية تحرم حتى ملك الثياب الضرورية لستر العورة .

● **أضواء على التنمية الاقتصادية**

تاليف : محمد ماهر نور

الناشر : عالم الكتب بالقاهرة

يقع الكتاب فى تسعين صفحة من القطع المتوسط، وهو على صغره دراسة مركزة فى خمسة فصول : التنمية الاقتصادية فى أبعادها الحقيقية ، البلاد النامية والبلاد المتقدمة ، نظرية تخطيط التنمية ، التعليم والتنمية الاقتصادية ، ثم أداة الانتاج .

واذا كانت الفصول الأربعة الأولى محاولة لوضع عملية التنمية فى أبعاد بسيطة واضحة ، فقد كان الفصل الخامس والاخير أكثر تخصصا حيث انه متعلق بمشكلة مهمة ، هى كيفية استخدام الأداة الرئيسية للتنمية الصناعية الا وهى الشركة .

● **التعاون فى العالم**

تاليف : جمال رفاعى

الناشر : الدار القومية

يقع الكتاب فى ١١٦ صفحة من القطع الكبير ، وموضوع الكتاب يتناول نشأة الفكر التعاونى فى العالم ، وتطوره ، والخدمات التعاونية التى يؤديها ، كما يتعرض الكتاب لأصول الادارة وتنظيمها فى المؤسسات والشركات ، وفلسفة التعاون فى ضوء الاشتراكية التعاونية ، ثم دور التعاون فى مصر قبل عام ١٩٥٢ وبعده .

هذا وقد قسم المؤلف كتابه الى أبواب خمسة ، وعرض للثورة الصناعية وآثارها ، والتعاون فى انجلترا ، وتطور التعاون خارج بريطانيا ، والتعاون والنظام الرأسمالى الشيوعى ، كما عرض للرقابة الديمقراطية ، والمبادىء الادارية والنظم الادارية ،

وتقسيم الوظائف عند (فايول) ، وقد ختم المؤلف دراسته ببحث موجز أشار فيه الى أن النظام التعاونى هو السبيل الى تجديد المجتمع •

● نحو الطريق الجماهيرى

تاليف : عبد المنعم مغازى سرور

الناشر : الدار القومية

عدد صفحات الكتاب ١٢٨ صفحة من القطع الكبير، ويشير المؤلف فى تقديمه لكتابه الى انه أراد التعبير عن المتعة التى تستطيع جماهير الناس أن تجدها فى الاطلاع ، كما اختار المؤلف بعض القراءات لكتابه هذا فى أسمى موضوع فكر فيه الانسان وهـــو (الالهيات)

بدأ المؤلف كتابه ببحث عن المعرفة، وكيف تتفاوت بين الناس قوة وضعا ، واستعرض عقائد الأقـوام التى تقدمت فى عصور الحضارة فى كل من مصر والهند والصين واليابان وفارس وبابل واليونان ، ثم بنى اسرائيل، وفى الفصل الثانى تناول المؤلف طريق المشاهدة أو التصوف ، وفى الفصل الثالث ، ذكر المؤلف أن طريقى النظر والتصوف ليسا فى متناول الجماهير ، ولهذا فان الله ــ رحمة منه بنا ــ قد امدنا بطريق سهل للوصول الى معرفته الا وهـو طـريق القرآن •

● الأجور فى المجتمع الاشتراكى

تاليف : امين عز الدين

الناشر : الدار القومية

الكتاب هو العدد الخمسون من مجمـوعة اخترنا للفلاح والعامل ويقع فى ٩٨ صفحة من القطع الصغير وهو يوضح أهمية دراسة الاجور عند رجال الاقتصاد وخبراء التخطيط وعلماء الاجتماع والمشتغلين بشئون العمل والتامينات والقادة النقابيين وجماهير الشعب فى المدن والريف عند البحث فى نتائج التطبيـــق الاشتراكى وقياس نجاحه •

والكتاب مقسم الى ستة فصول : الأجور والحرية ، الحد الأدنى للأجور ، بناء الاجور ، نظم دفع الأجور ، النقابات والأجور ، الأجور فى خطة تنمية الدخــل القومى •

● تحت الطبع

بدأت المذيعة سلوى حجازى تؤلف كتبا للصغار لتبسيط الاشتراكية لمن هم أقل من ثمانى سنوات ، يلحق كل من هذه الكتب باسطوانة تروى فيها المذيعة حكاية بصوتها مع مؤثرات موسيقية تعبر عن مفهوم الاشتراكية ، وقد انتهت من اعداد ثلاث كتب •

« احمد عبد الصمد دياب »

أخبار

● مقالات العقاد السياسية تصدر فى مجلدين عن دار سعد مصر للطباعة فى الذكرى السنوية الأولى ٠٠ جميع هذه المقالات عامر العقاد •

❋ ديوان « ما بعد البعد » لعباس محمود العقاد يصدر فى ١٥ مارس عن دار المعارف •

● « لحظة صدق » مجموعة قصصية جديدة صدرت فى سلسلة الكتاب الذهبى للدكتورة نوال السعداوى

❋ « الثقافة السكندرية » مجلة اسبوعية يصدرها الاتحـــاد المصرى بالاسكندرية

❋ سهول وهضاب اسم الديوان الجديد الذى يصدر قريبا للشاعر الدكتور محمد محمود الصياد

● تصدر قريبا مجموعة مسرحيات لشوقى عبد الحكيم باسم « ملك عجوز وماس الحرى » ٠

● يصدر قريبا عن الدار القومية للدكتور يوسف ابو الحجاج استاذ الجغرافيا بآداب عين شمس كتاب « وحدة الوطن العربى »٠

● مشكلات شعر المتنبى ، او المشكل من شعر المتنبى لابن سيده اللغوى صاحب المحكم والمخصص ، ينشر لاول مرة ، قام بتحقيقه الاستاذ مصطفى السقا ــ والدكتور حامد عبد المجيد•

● تحتفل هيئة خريجى الجامعات بدارها ، شارع الألفى بالقاهرة، فى مساء السبت ٦ مارس سنة ١٩٦٥ بذكرى مرور العام الاول على وفاة الكاتب الكبير المرحوم ، عباس محمـــود العقاد ، يشترك فى هذه الذكرى الأدباء والشعراء مرتبة أسماؤهم على حسب الحروف الهجائية د٠ احمد محمد الحوفى ــ روحية القلينى ــ طاهر الجبلاوى ــ عامر بحيرى ــ عبد الفتاح الديدى ــ عبد القادر الشافعى ــ عبده بدوى ــ لورا الأسيوطى ــ محمود شاور •

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العواني

الاشتراكية والدين

جاء في حديث الرئيس جمال عبد النـــاصر أمام الهيئة البرلمانية للاتحاد الاشتراكي أن الاســلام دين اشتراكي وأن القوى الرجعية والاقطاعية كانت تحاول أن تستغل الدين لأغراضها ، لكن الدين يعـــارض الاستغلال ويرفضه ، وهـو في حقيقة أمره دعوة الله للحرية في كل معانيها الاجتماعية ٠ وأوضح الرئيس ان الاشتراكية لا تساوى بين جميع الناس وانما هي تصفي الامتيازات الطبقية ، ثم يبقى لكل فـرد أن يحدد مكانه في المجتمع وفقا لعملهولقيمة هذا العمل في خدمة المجتمع ، وبهذا أكد الرئيس أننا نختلف في كثير من المسائل مع الشيوعية ، وخلافاتنا معها انما هي خلافات جذرية ، فنحن نؤمن بالدين أولا ونحن نرفض دكتـاتورية اية طبقــة من الطبقات ، ونحن نتطلع الى الوحدة القومية ، ونحن لا نصفي بالعنف أي طبقة ولكنا نصفي امتيازات الطبقة ٠ هذه الاشتراكية التي نادت بهـــا الجمهورية العربية المتحدة وطبقتهـــا في مختلف النواحي لم تصبح الآن وقفا عليها ، بل سارع الى الأخذ بها والتطبيق لها كثير من البلاد العربية ، فالجزائر مثلا حينما أخذت بهـا نظرت اليها على أنها مما دعا اليه الاســـلام الذي هو ثورة متواصلة ومستمرة ضد جميع أشكال العبودية والظلم الاجتماعي والاقتصادي ، فقد قال أحد وزراء الحـــكومة الجزائرية « أحمد توفيـــق المدني » في حديث أدلى به الى صـــحيفة « لانيتـــا » الايطالية : « ان الاسلام يقر مبدأ الملكية الخاصـــة والوراثة ، وهذان المبدءان مقبولان في الحقيقة بالنسبة لكل الأموال الاستهلاكية حتى من طرف الاشتراكية الحديثة ، غير أن ميزة الاسلام في هذا الصـــدد أنه لايقف عند هذين المبدأين ، فهو يمثـل أول دين أو مؤسسة دينية ومدنية ـ ان جاز هذا التعبير ـ نادت صراحة بالملكية الجماعية لوسائل الطاقة والانتـاج الضروريين للحياة ، وهناك حديث شريف في هـذا الموضوع بالذات « الناس شركاء في ثلاث : في الماء ، والكلأ والنار » فنص الحديث هنا يشير الى أن هذه الاشتراكية هي حق مشاع بين جميع الناس ، ولم يقل جميع المسلمين فقط ،ذلك أن هذه الاشياء كانت تمثل في ذلك العهد حاجيات العيش الضرورية في الجزيرة العربية ،وجميع الشراح مجمعون على أن قائمة الاملاك الجماعية هذه لا تختص بنوع معين من الاملاك ،وانما تشمل جميع أنواع الملكية التي تتعلق بها مصـلحة الجماعة ، ويضيف الاستاذ توفيق المدني أن الاسلام لم يكتف بالدعوة الى هذه المبادىء فقط ، بل انه طبقها بصورة عملية ، فالرسول عليه الصلاة والســلام أمم بنفسه المراعي ، وكذلك فعل عمر بن الخطاب وغيره من الخلفاء عندما أمموا عدة ملكيات خاصـــة لصـــالح الملكية الجماعية ٠٠

والمذهب المالكي ، نادى باخضـــاع الملكية الخاصة لمقتضيات المصلحة العامة للمسلمين أو بالتالي تحديد الملكية الخاصة ، كما أنه يجب تأميمها اذا تعلقت بها مصلحة الجمـــاعة ، وأول هذه الاملاك التي اتخذت مثلا المناجم ، ففقهاء المـــالكية يعتبرون هذه الاملاك

كباقى الأملاك المدفونة تحت الارض » • ثم يقول الأستاذ توفيق المدنى عن اشتراكية الجزائر «انها نظام جزائرى اسلامى محض ، جاء وفقا للمعطيات الجزائرية . ويستمد أصوله من القرآن والسنة ومن افعال وسيرة الخلفاء الراشدين والعلماء ، وهو فوق كل هذا صورة لثورتنا الشعبية ، وحسب هذه الاعتبارات فان اشتراكيتنا تحترم دائما الملكية الخاصة التى هى ثمرة من عرق الجبين ، وما اكتسب بطريقة شريفة » •

● **الاشتراكية والمجتمع العربى :**

وجاء فى مقال كتبه الدكتور سهيل ادريس رئيس تحرير مجلة «الآداب» اللبنانية : ان المجتمع العربى يسير اليوم سيرا واضحا فى طريق الاشتراكية، تلك التى لم يكن يعيها أصلا من قبل ، أو كان يتنكبها عن وعى ، وليس بعض البلدان العربية التى ما تزال مترددة و متخلفة فى هذا الميدان الا الاستثناء ، لأن المقياس والقاعدة هما هذه الدول العربية الاربع ، وهى كبرى الدول العربية ، التى تبنت النهج الاشتراكى ، وهى ماضية فيه بلا هوادة ، ولاعبرة فى أنها تواجه مصاعب وعقبات ، فتلك عراقيل لابد أن تزاح ، وهى لن تقف المسيرة ، ولن تلغى الطريق بحال من الاحوال •

● **الاشتراكية بين النظرية والتطبيق**

ونشر عبد الهادى الفكيكى فى عدد من مجلة «الادب» أن الحركة الاشتراكية العربية عندما سلكت سبيل التأميم ، فانها ادركت أن عليها أن تنطلق منه باعتباره من المبادىء الاولية فى عملية التحويل الاشتراكى الذى يستند الى الشعب باعتباره صاحب الثروة القومية ، وقد جاء فى الباب السادس من « الميثاق الوطنى للقوى الشعبية » فى الجمهورية العربية المتحدة تحت عنوان «حتمية الحل الاشتراكى» « ان سيطرة الشعب على كل أدوات الانتاج لاتستلزم تأميم كل وسائل الانتاج ، ولا تلغى الملكية الخاصة ولا تمس حق الارث الشرعى المترتب عليها ، وانما يمكن الوصول اليها بطريقين :

أولهما ــ خلق قطاع عام قادر على أن يقود التقدم فى جميع المجالات ويتحمل المسئولية الرئيسية فى خطة التنمية •

ثانيهما ــ وجود قطاع خاص يشارك فى التنمية فى اطار الخطة الشاملة لها من غير استغلال على أن تكون رقابة الشعب شاملة للقطاعين مسيطرة عليهما» •

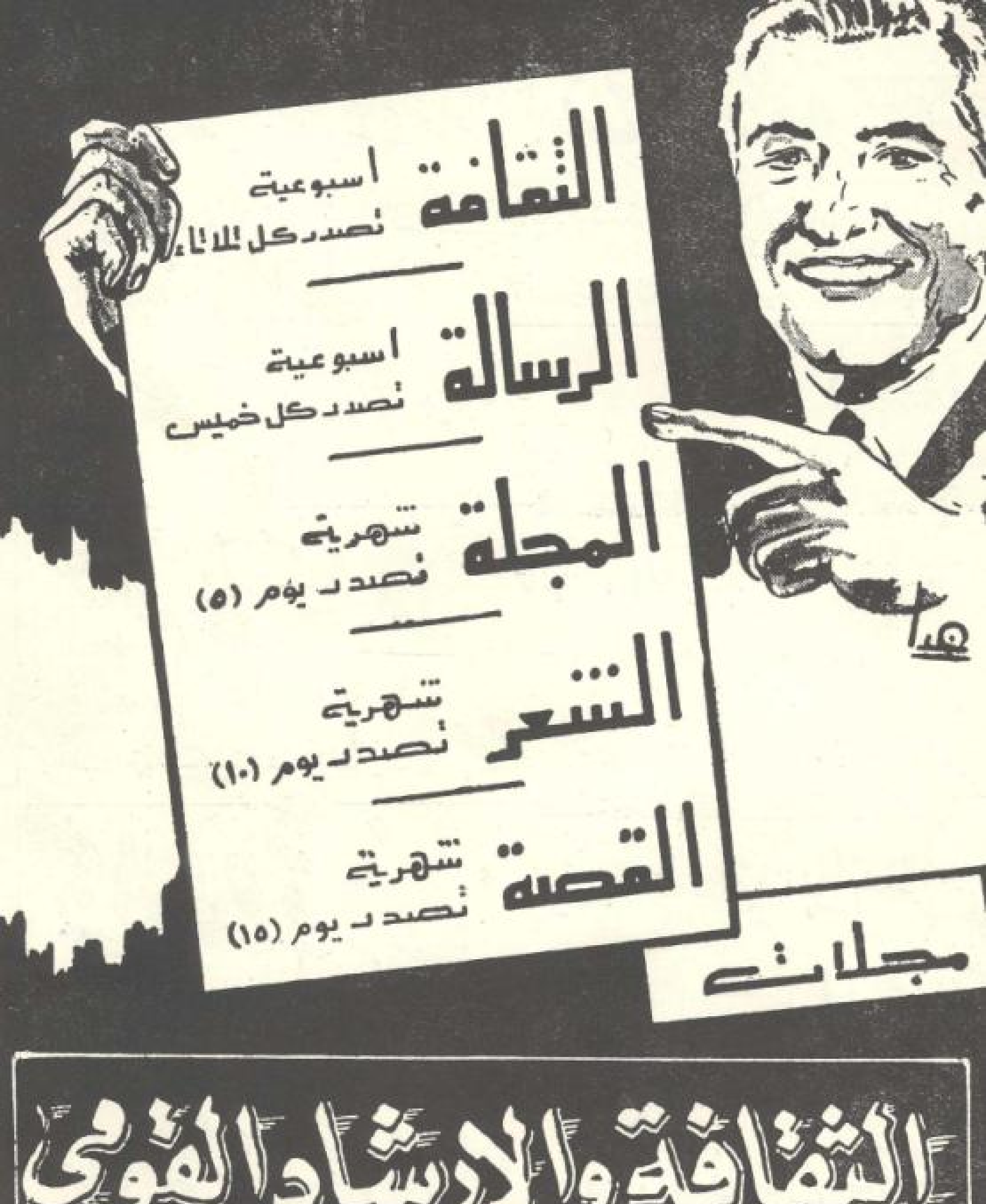
● **الاشتراكية وبناء الحضارة :**

وتحت عنوان « المجتمع والروابط المعنوية » قال الاستاذ محمد فريد أبو حديد فى مقاله الافتتاحى لمجلة الثقافة المنشور فى ٢٣ فبراير ١٩٦٥ «اننا فى عصرنا الحاضر نقيم حضارة عربية جديدة على أسس جديدة ، وهى الاشتراكية والحرية والعدالة ، وهى مبادىء ليست بعيدة عن المبادىء الاولى التى أرادت الامة العربية أن تبنى حضارتها السابقة عليها ، ونعتقد أن السر فى عجز تلك الحضارة السابقة عن الاستمرار فى السير وفق مبادىء الاشتراكية والعدالة والحرية هو هذا الداء الذى أصاب الامة العربية فيما مضى ــ أعنى اختلاف الآراء والمذاهب واختلاف التيارات الفكرية الهادمة لوحدة الاتحاد الفكرى والعاطفى فى المجتمع العربى السابق » •

● **تونس والاشتراكية :**

والقى الرئيس التونسى الحبيب بورقيبة خطابا وطنيا أمام أعضاء مجلس الامة فى جلسة خاصة عقدت بالمجلس أثناء زيارته للقاهرة ، شرح فيه معنى الاشتراكية قائلا : ان تونس والجمهورية العربية المتحدة الآن قد أنهتا تصفية الاستعمار ، وتخلصتا من جميع مخلفاته بصورة كاملة ونهائية ، وفى مقدور كل منهما أن تنهج طريقا مثاليا فى هذا الكفاح الجديد الذى نخوضه من أجل الخروج من التخلف وتحقيق المناعة والمجد ، ويذكر الرئيس التونسى ان الوسائل التى تحقق هذه الاشتراكية هى رفع مستوى الانسان وتحقيق الازدهار ونشر الرفاهية فى جميع الطبقات ، والاقتراب أكثر وأكثر من العدالة الاجتماعية • ثم ينتقل مبينا :« ان الاشتراكية خلق متواصل لايتوقف ولا يتحجر ، وبحث دائم دائب لا ينتهى ، اذ هو دوما يستفيد من التجارب ويتعظ بها ، سواء منها التى تجرى بداخل البلاد أو التى تجرى خارجها ، بشرط توخى الصدق والنزاهة والاخلاص ، واعتبار النجاعة والفعالية مع احترام القيم الانسانية العليا » وقد أجاب بورقيبه على سؤال وجهه اليه ممثل اذاعة صوت العرب حول الاشتراكية التونسية فيقول عنها « انها لا تختلف كثيرا عن تجربة الجمهورية العربية المتحدة فالأسباب واحدة والهدف واحد ، وان اختلفت الطرق الى تحقيقه •

« **محمد العوانى** »



العدد ٨٥
الثمن ٣

الدار القومية للطباعة والنشر